السبت 1 نيسان 2023
العدد 4887 السنة السابعة عشرة
Samedi 1 Avril 2023 no 4887 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

كشكول المحبّين من التراث العربي والإسلامي
توهّمتُ أنّك أنّي

تبديد 70% من حقوق السحب... الحكومة أنفقت «الذخيرة الأخيرة» بقرارات عشوائية [4]

جنبلاط يخضع لتيمور ويطلب من باريس سحب المقايضة... واللقاء الخماسي إلى الرياض

ترشيح فرنجية: العقدة السعودية قائمة [2]

اطلب القوس مع الأخبار

سوريا كذبة «الاستثناء» الأميركي

[8 ـ 9]

(صهيب عمرانية)

تقرير

«عصر» ملاك السفارات
اتهامات بالاستنسابية والطائفية

3

الحدث

واشنطن ترمّم «ترسانة الديموقراطية»

10

البلاد

رمضان فلسطين: صلة للأرض بالسماء

[12]

طقوس غائبة عن «اليرموك»

[13]

في ذكرى وديع حداد: لنلاحق العدو في كل مكان

[15]

المشهد السياسي

جنبلاط يخضع لتيمور ويطلب من باريس سحب اقتراح المقايضة

العقدة السعودية مستمرة واللقاء الخماسي إلى الرياض

علمت «الأخبار» أن مصر بدأت اتصالات مع عدد من الدول المعنية لإعادة إحياء عمل مجموعة اللقاء الخماسي بعدما تبيّن أن نتائج الجولة الأخيرة من اللقاءات، والتي عُقدت في العاصمة الفرنسية في شباط الماضي، كانت سيئة للغاية. إذ انتهت، بحسب مصادر متابعة، إلى مواجهة عاصفة بين الجانبين السعودي والفرنسي، أدّت إلى مغادرة رئيس الوفد السعودي نزار العلولا القاعة غاضباً، ومعه السفير السعودي في بيروت وليد البخاري، بعدما وصل النقاش إلى طريق

> باريس لا تزال تراهن على الوقت لإقناع المملكة بالسير في فرنجية

مسدود مع الحاضرين، خصوصاً الجانب الفرنسي الذي كان يصرّ على طرح مبادرة توافقية تمنع الانفجار في لبنان، وتفتح الباب أمام إعادة الرعاية الخارجية وتوفير الدعم الضروري لمنع انهيار البلد.

وتؤكّد المصادر أن الجانب السعودي لا يزال يتعامل مع الساحة اللبنانية على أنها معقل أبرز خصومه، وأن لبنان هو المكان الذي يمكن أن تواجه الرياض فيه حزب الله، كونه «مصدر صداع للسعودية في اليمن والعراق وسوريا إضافة إلى لبنان». ونقل معنيون عن تقارير دبلوماسية أن العلولا قال بصوت مرتفع: «لن نتعامل مع لبنان إذا بقي على مساره الحالي، ولن يلزمنا أحد بتقديم أي دعم سياسي أو مالي في حال جاء إلى الحكم أشخاص لا يقفون

(هيثم الموسوي)

في مواجهة حزب الله»، في مقابل الرأي الفرنسي القائل إن «أي رئيس مواجهة يعني استمرار الفراغ، وأن حزب الله قوة رئيسية في البلاد ولا يمكن عزله».

وأشار المعنيون إلى أن الجانب المصري شعر بأن الأجواء العاصفة التي انتهى إليها الاجتماع تجعل إعادة عقده في باريس صعباً، لذلك فكّرت القاهرة بمبادرة تفتح الطريق أمام عقده في الرياض. وقد أثار المصريون الأمر مع أطراف عدة، وتحدثوا عن إمكانية أن يبادروا إلى التواصل مع الجانب الإيراني لتسهيل الأمور. علماً أن القاهرة تعطي إشارات إلى رغبة في تواصل أكثر حرارة مع حزب الله في بيروت، لكنها تعتبر أن الموقف النهائي يبقى مرتبطاً بالموقف السعودي.

جنبلاط يتشدد

وقبل أن يصل رئيس تيار «المردة» سليمان فرنجية إلى باريس، للقاء المستشار في الرئاسة الفرنسية باتريك دوريل، كان رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط قد عاد إلى بيروت بعدما التقى مدير الاستخبارات الخارجية الفرنسية برنار إيميه. وأكّد مطلعون أن زيارة جنبلاط أتت «في سياق إقناع باريس بالتراجع عن مشروع المقايضة بين فرنجية في رئاسة الجمهورية ونواف سلام في رئاسة الحكومة، أو أي مقايضة تحمل فرنجية إلى بعبدا». ونقل هؤلاء عن جنبلاط أنه كان حريصاً على «التشديد أمام الفرنسيين بأن انتخاب فرنجية أمر صعب، خصوصاً في غياب الموافقة السعودية»، وأنه حتى لو وافقت المملكة «سيبقى الأمر صعباً بسبب موقف الكتل المسيحية منه». وأضافوا أن الزعيم الاشتراكي «جنبلاط طلب بصراحة من الفرنسيين التخلي عن هذه المقايضة وعن محاولة إقناع السعوديين بالسير بها»، و«الانتقال بالبحث إلى مكان آخر للخروج من هذه المراوحة التي لن تصل إلى أي مكان». وأوضح جنبلاط أنه «في مقابل إصرار ثنائي حزب الله وحركة أمل على دعم ترشيحه، فإن الكتل المسيحية وتحديداً التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية لا تزال عند موقفها المتصلب بالرفض، وتتقاطع في ذلك مع الموقف السعودي، بالتالي يتعين على باريس أن تتراجع عن هذا الدعم وتبدأ بالبحث عن شكل جديد للتسوية، ما لم يحصل ما يدفع هذه القوى إلى تغيير مواقفها».

وأكدت المصادر أن «واحداً من الأسباب التي تدفع جنبلاط إلى ثني الفرنسيين عن دعم فرنجية هو المشكلة التي تواجهه داخل الحزب، وخصوصاً مع نجله النائب تيمور»، إذ إن «الخلاف بينهما على الملف الرئاسي كبير، وقد أبلغ جنبلاط الابن والده بأنه لن يصوّت لفرنجية بأي شكل من الأشكال، انسجاماً مع موقف القاعدة الشعبية»، وهذا التعارض هو «ما أجبر جنبلاط على التراجع عن الوعد الذي قطعه لرئيس مجلس النواب نبيه بري بالتفكير بالأمر».

في المقابل، أكّدت مصادر دبلوماسية لـ«الأخبار» أن الموقف الفرنسي لا يزال نفسه، وأن باريس تتصرف على قاعدة أن «هناك متسعاً من الوقت لاستكمال النقاش مع السعودية في الأسابيع المقبلة، وإقناع المملكة بالسير في التسوية». وفيما يدور حديث عن مساعٍ تقوم بها القاهرة للترويج لما طرحته في لقاء باريس لعقد لقاء للقوى اللبنانية على غرار مؤتمر الدوحة، تترقب بيروت ما سيحمله وزير الدولة للشؤون الخارجية القطري محمد بن عبد العزيز الخليفي الذي يصل إلى لبنان الأسبوع المقبل بعد زيارة قام بها لطهران.

في الواجهة

فرنجية في باريس رئيساً مؤكداً أم ناخباً مُقرِّراً؟

عام 2015، كانت باريس محطة لرئيس تيار المردة سليمان فرنجية كي يترشح ويوشك ان يصير رئيساً للجمهورية بتسوية ابرمها على اراضيها مع الرئيس سعد الحريري. مالبث ان حرمه اياها حليفه حزب الله ايضاً لوعد قطعه للرئيس ميشال عون

نقولا ناصيف

تعود باريس مجدداً محطة لرئيس تيار المردة سليمان فرنجية، قبل ثماني سنوات كانت اكثر استعجالاً منه بأن خابره الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند مهنئاً اياه بالرئاسة اللبنانية قبل التأكد من امرار ترشيحه لدى حلفائه اولاً. كانت المكالمة تلك إشعاراً وكأن الانتخاب تم، ثم تلاحقت ردود فعل سلبية انتهت بعد سنة الى انتخاب الرئيس ميشال عون. قبل حينذاك ان فرنسا باركت التسوية المبرمة دونما ان تنسب الى نفسها علناً على الاقل الفضل الأخير فيها. في الاستحقاق الحالي، تحاول استعادة الدور نفسه بمغالاة وأكثر حيوية وفائدة يجعل منها للمرة الثانية، في مئة عام تقريباً منذ اعلان الجمهورية اللبنانية عام 1926 وتزكيتها انتخاب الرئيس شارل دباس، صانع انتخاب رئيس للبنان. اذا صح ستكون المرة الاولى مذاك.

الى ان يُفصح تماماً عن دوافع دعوة فرنجية الى باريس واجتماعه بمستشار الرئيس الفرنسي المكلف شؤون الشرق الاوسط باتريك دوريل، ستظل التكهنات المتضاربة تطارد الزيارة المفاجئة، قبل انها خاتمة رحلة ترشيح فرنجية، قبل العكس كذلك، كأنها توطد تكريس انتخابه. بيد ان الاكيد ايضاً ان زيارة باريس ليست بالضرورة آخر مراحل الشغور الرئاسي. يعزّز الانطباع هذا بضعة معطيات أخيرة:

أولها، ان دعوة فرنجية الى باريس ليست منفصلة عن الاتصالات المستمرة بين الفرنسيين وحزب الله حيال الاستحقاق الرئاسي. يُعزى الى الحزب توجيهه «نصيحة» الى باريس لدعوة نائب زغرتا سابقاً والخوض معه في الصعوبات التي يواجهها امرار ترشيحه وتالياً انتخابه رئيساً للجمهورية. ما يُفترض ان يسمعه في باريس من شأنه تحديد المسار المقبل بعدما تيقن الجميع، مؤيدو فرنجية ومعارضوه، ان انتخابه يصطدم بعقبات اساسية في الداخل كما مع الخارج يصعب تذليلها. احدى علامات هذا التعثر ان يسمع فرنجية من الفرنسيين موقفهم من ترشيحه ويُخرَج الانتقال الى خيار سواه تبعاً لذلك.

ثانيها، ان دعوة فرنجية الى باريس لمقابلة مسؤول رفيع فيها في الاليزيه يراد منه اثبات الاعتبار له بأن لا يكتفي امامه بالطلب منه التخلي عن ترشيحه، بل الاقرار له كناخب كبير في الاستحقاق وفي مَن قد يصير الى التوافق عليه كخيار بديل يحظى بتأييده ويعوّضه في المرحلة المقبلة. تريد باريس ان تكون هي - لا حزب الله - عرّاب خروج فرنجية من السباق على اعلى الحلل.

ثالثها، بعض مَن يلتقي بمسؤولين في حزب الله يلمسون جدية تقييمهم السلبي في المضي في معركة ترشيحه دونما وصولها الى الخاتمة المتوخاة. ليس في حسبان الحزب سياسياً واخلاقياً، في اي لحظة محتملة، ان يطلب من فرنجية التخلي عن ترشيحه، مع ان الثنائي الشيعي رشحه من دون ان يترشح هو بالذات. ما لم يفعله مع الرئيس ميشال عون طوال سنتين ونصف سنة لن يُقدم على عكسه معه. بيد ان المهم كذلك في ما افضى الى انتخاب عون ولا يزال الى الآن يحول دون ان يخلفه فرنجية ان الفرستين، المسيحية والسنّية عام 2016، تقفان الآن في المقلب المناوئ له. الى تكتل

> فرنجيه الى فرنسا بـ«نصيحة» من حزب الله؟

الخصوم المسيحيين جميعاً دفعة واحدة ضده، ليس خافياً ان الرياض معارضة بدورها انتخابه. اعاد رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط تأكيد عدم مجاراته انتخاب فرنجية كإحدى الرسائل السعودية المضمرة، ناهيك بإحجام الاتجاهات السنّية المتأثرة بالموقف السعودي عن اشهارها تأييدها له.

رابعها، ما يأتي على ذكره مسؤولون في الحزب في لقاءات مغلقة يفصح عن مبرر حقيقي للعقبات التي يجبها انتخاب فرنجية. ما يتيقن منه حزب الله ان لا انتخاب لحليفه الزغرتاوي في ظل مقاطعة الاحزاب والكتل المسيحية كلها الاكثر تمثيلاً في طائفتها، ما خلا نواباً مسيحيين حلفاء للثنائي الشيعي لا يسعهم تغطية امتناع الآخرين ورفضهم. هو السبب نفسه الذي حمل الامين العام للحزب السيد حسن نصرالله على تأكيد التزام النصاب الموصوف لجلسة انتخاب الرئيس وهو 86 نائباً، غير المتاح لأي من الافرقاء كما للثنائي الشيعي وحلفائه. ليست الاشارة هذه سوى ان حزب الله لا يريد رئيساً منتخباً ضد ارادة طائفته وان كان الى جانبه ولا يعثر على بديل منه. في ذلك ايضاً مغزى قول الرئيس نبيه برّي - استطراداً للدلالة على الحاجة الى نصاب 86 صوتاً على الاقل - ان الرئاسة كما في تاريخ المواربة مشكلتهم هم اولاً.

خامسها، ليس خروج فرنجية من الرئاسة - اذا كان ذلك بالفعل ما ترمي اليه الزيارة - وحده الثمن الذي يدفعه حزب الله وكذلك رئيس البرلمان اول مَن جهر بترشيحه. ثمة ثمن آخر يقتضي بباريس ان تتكبّده بدورها بتخليها عما رفضته الرياض، وهو مقايضة انتخاب فرنجية بتسمية السفير السابق نواف سلام لرئاسة الحكومة. لم يقل الفرنسيون مرة انهم وراء طرح المقايضة، مكتفين على الدوام بالرد انها طرحت عليهم وجاروها علّها تختم الشغور الرئاسي. بذلك يُعاد صوغ معادلة العهد الجديد على نحو متوازن ومتكافىء بين بروفيلين متشابهين، احدهما يكمل الآخر، رئيس للجمهورية ورئيس للحكومة يتمتعان بمواصفات متطابقة ومتماثلة فلا يؤتى بكل منهما من واد. ذلك ما مثلته لوهلة وبدا انها مقايضة مستعصية في جمع اثنين كفرنجية وسلام بتنمياز الى طبقتين سياسيتين متنافرتين، والى طرازين من الطباع والعلاقات والثقافة السياسية يصعب ان يكونا معاً.

تقرير

«عصر» ملاك السفارات في الخارج: اتهامات بالاستنسابية والطائفية

ندى أيوب

ضمن خطّة وزارة الخارجية لِعصر نفقاتها وسط الانهيار المالي المُتسارع، تندرجُ فكرة تصغير ملاك البعثات الدبلوماسية كواحدةٍ من سلّة إجراءاتٍ تقشّفية اعتمدتها الوزارة. لكن ترشيد ملاكات انتفخ بعضها بالتوظيف السياسي – الطائفي بدأ يُحدِثُ «بلبلةً» في عددٍ من السفارات.

فقد تركت «الخارجية» لرؤساء البعثات مهمّة تسمية الموظفين الذّين سيتمّ الاستغناء عن خدماتهم، ما أثار «مخاوف» نابعة من غياب آلية واضحة المعايير، ما قد يفتح الباب أمام مزاجية السفراء والقناصل الذين قد تتحكّم بها ميولهم السياسية أو شكل علاقتهم بموظّفين معيّنين ضمن فريق عملهم أو أي اعتبار آخر غير موضوعي. وتؤكّد أوساط متابعة أن «أكثر من سفارة تشهد تشنّجات وتوترات بين السفراء والموظفين». وفي هذا السياق، طفا على السطح أخيراً «الخلاف بين سفير لبنان في موسكو شوقي بونصار وموظّفَيْن اثنين من بين أربعة اختار إنهاء خدماتهم»، ولكل طرفٍ روايته.

بدأ الأخذ والردّ من تشرين الأول 2022، عندما أرسل الأمين العام للوزارة هاني شميطلي تعميماً إلى سفارة موسكو يشأن تعديل حجم الملاك لجهة «التخلّي عن 6 موظّفين أصل 18»، أي الثلث. وقد ردّ بو نصّار طالباً «صرف النظر عن الموضوع»، مقترحاً «خفض رواتب كافّة الموظّفين». وبعد مراسلاتٍ عدة بين بيروت وموسكو رسا الاتفاق على الاستغناء عن 4 موظّفين. وقع اختيار بونصّار على موظفة روسية يبلغ راتبها 2000 دولار، وتبلغ سنّ التقاعد العام المُقبل فـ«كان الأقرب إلى المنطق إنهاء عقدها أكثر من أي موظّف آخر»، تبرر المصادر، إضافة إلى عاملة نظافة روسية بلغت سن التقاعد ولم يعيّن السفير بديلاً عنها، ويبلغ راتبها 1500 دولار.

إلا أن الأمور في موسكو لم تسر بهدوء، حين أبلغ بو نصّار الموظّفَين اللبنانيَين علي قاووق (مسؤول في حركة أمل) وجوزيف بو جودة (عضو فاعل في التيار الوطني الحر) بقرار إخراجهما من الملاك بعد أكثر من 20 عاماً من الخدمة، إذ اعتبرا أن «دوافع السفير سياسية وطائفية، ولعدم رغبته بالمس بموظّفَين مقرّبَين منه» كما تنقل مصادر. في المقابل، تبرّرُ روايةٌ أخرى تشير إلى أن «كلاً من قاووق وبو جودة يتقاضى 3500 دولار، ويَشغلان وظيفتين يمكن للسفارة الاستغناء عنهما». إذ إن قاووق هو مسؤول التأشيرات، وبما أن الروس لا يحتاجون إلى تأشيرة دخول إلى لبنان، فلن يخلّف إلغاء وظيفته ضغطاً على العمل. أما بو جودة فمسؤول عن معاملات الطلاب، وعدد هؤلاء ليس كبيراً. وبحسب المصادر، فإن بو نصار أخذ في الاعتبار الأوضاع المادية للموظفين، إذ إن «كلاً من قاووق وبو جودة يمتلك فيلا في موسكو نتيجة أعمال حرة جانبية يمارسانها منذ سنوات في روسيا». كما أخذ السفير في الاعتبار التوازنات الطائفية داخل السفارة، إذ يضم الملاك مارونيَين وشيعيَين وسنياً ودرزياً وأرثوذكسياً، فـ«اقتضت المراعاة تبعاً لتوجّه الوزارة، التخلي عن موظفٍ شيعي وآخر ماروني».

أما الوفر المُفترض تحقيقه في حال أعطت وزارة الخارجية موافقتها على النموذج الموحّد الذي ضمّنه بو نصّار أسماء الموظفين، وأرسله قبل عشرة أيام إلى بيروت، فيقدّر بحوالي 11 ألف دولار شهرياً.

اعتراض سياسي على إقفال سفارات

علمت «الأخبار» أن وزير الخارجية عبدالله بو حبيب كان قد اقترح من ضمن خطة عصر النفقات التي قدّمها إلى مجلس الوزراء العام الماضي ولم تتم مناقستها بعد، تعليق العمل في ثلاث سفارات في القارة الأفريقية، من بينها سفارتا لبنان في ليبيريا وغانا، لكنّ الاقتراح لقي اعتراضاً من رئيس مجلس النواب نبيه بري بسبب «العدد الكبير لأبناء الجالية اللبنانية في هذه البلدان، وغالبيتهم من المتمولين الشيعة» بحسب المصادر. وفي المقابل، أبدى رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل اعتراضه على اقتراح إقفال خمس سفارات في أميركا اللاتينية (التشيلي، الأوروغواي، الإكوادور، الباراغواي وكوبا) بسبب وجود عدد ضخم من أبناء الجاليات اللبنانية التي لها وجود تاريخي في هذه البلدان.

> غياب آلية واضحة المعايير يفتح الباب أمام مزاجية السفراء

(هيثم الموسوي)

علم وخبر

حزب قائد الجيش؟

فترة قليلة تفصل عن إطلاق حزب سياسي جديد، تعمل شخصيات مقرّبة من قائد الجيش العماد جوزيف عون على تأسيسه. ويُنقل عن هؤلاء أن الحزب «النخبوي» سيكون «عابراً للطوائف» ويضمّ أفراداً من مكوّنات البلد المختلفة، ويقوم على طرح مقاربة «وطنية جامعة». وتربط المصادر بين فكرة تأسيس هذا الحزب وطرح اسم قائد الجيش في بورصة الترشيحات الرئاسية.

موظّفون «بسمنة»... و«بزيت»

بعد الاطلاع على حيثيّات قرارات إخلاء سبيل الموظفين الموقوفين في ملف الدوائر العقارية، تبيّن وجود تفاوت كبير في قيمة كفالات إخلاء السبيل، إذ تراوحت بين 20 مليون ليرة و350 مليوناً، وهو ما بدا لافتاً، وخصوصاً أنّ «التهم الموجّهة إليهم واحدة» بحسب مصادر قانونية، وجميعها تتعلّق بتقاضي رشوة.

ابراهيم يبتعد عن ميقاتي

لوحظ خلال تقبّل التعازي بنائب الرئيس التنفيذي لشركة «خطيب وعلمي» سمير الخطيب، أنّ المدير العام السابق للأمن العام اللواء عباس إبراهيم بقي بعيداً عن أهل العزاء لدى قدوم الرئيس نجيب ميقاتي للتعزية، علماً أنّ نجل إبراهيم متزوّج ابنة الخطيب.

الأموال في الجمارك بـ«السخارة»!

أثار قرار وزارة المالية استيفاء الرسوم والضرائب على بعض السلع المستوردة نقداً بنسبة 75 في المئة، بعدما كانت تتقاضاها عبر شيكات مصرفية بنسبة 100 في المئة، استياء موظفي الجمارك الذين صاروا يعملون بشكل مضاعف لتخليص كلّ بيان بسبب الوقت الذي يستغرقه عدّ الأموال بالعملة اللبنانية وتعبئتها في صناديق بلاستيكيّة مخصصة لنقل الخضار (سحارات) قبل نقلها في آليات إلى المصرف المركزي يومياً!

قضية اليوم

الحكومة أنفقت «الذخيرة الأخيرة» بقرارات فردية وعشوائية
تبديد 70% من حقوق السحب

من أصل 1,139 مليار دولار هي قيمة حقوق السحب الخاصة التي حصل عليها لبنان في أيلول 2021، أُنفق حتى نهاية كانون الثاني 2023 نحو 747 مليون دولار. لم تتخذ قرارات واضحة بهذا الإنفاق في مجلس الوزراء، بل إن قسماً كبيراً منها حصل بقرار إفرادي من رئيس الحكومة نجيب ميقاتي. وفي النتيجة بُدّد القسم الأكبر من هذه الأموال من دون أي تخطيط أو أولويات

رلى إبراهيم

في اجتماع اللجان المشتركة النيابية الذي عُقد الثلاثاء الماضي لمناقشة الانتخابات البلدية والاختيارية وكلفة إجرائها، طرح النائب سامي الجميل تمويلها من خلال استعمال حقوق السحب الخاصة SDR. ردّ النائب علي حسن خليل برفض الاقتراح أشعل سجالاً من «العيار الثقيل» بين النواب، في مشهد شديد السريالية، خصوصاً متى ما عُرف بأن «الجنازة حامية»، فيما القسم الأكبر من هذه الأموال بُدّد من دون أي تخطيط للأولويات والأهداف.

في أيلول 2021، حوّل صندوق النقد الدولي إلى مصرف لبنان 607,2 مليون وحدة من وحدات الحقوق الخاصة في إطار التوزيع العام لمخصصات حقوق السحب التي

لم يتبقَ من 1,139 مليار دولار سوى نحو 392 مليوناً لن تصمد أكثر من ستة أشهر

نفذت في تلك الفترة لدعم سيولة البلدان الفقيرة إثر جائحة كورونا. استعجلت الحكومة بيع حصصها هذه مقابل 1,139 مليار دولار. يومها راج كثير من الكلام عن ضرورة إنفاق هذه الأموال بطريقة واضحة وبقرارات من مجلس الوزراء. ورُميت اقتراحات من نوع تخصيص قسم من الأموال لمشاريع الكهرباء، أو إنفاقها على الضمان الاجتماعي وغير ذلك... لكن، عملياً، لم يخرج الأمر عن إطار الطروحات الفردية. فيما مدّت الحكومة يدها على هذه الأموال من دون أي تخطيط أو رؤية واضحة، تماماً كما مدّ مصرف لبنان يده على الموجودات بالعملة الأجنبية مبدّداً أكثر من 22 مليار دولار منها.

اليوم، أي بعد مرور نحو عام ونصف عام، لم يبقَ من قيمة حقوق السحب الخاصة سوى 392 مليون دولار. وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن حكومة ميقاتي أنفقت، بقرارات فردية من ميقاتي نفسه أو بقرار منه وبعلم وزير المال يوسف خليل وبعض الوزراء أو بقرارات اتخذت في مجلس الوزراء، نحو 747 مليون دولار، أي ما يوازي 70% من إجمالي المبلغ، أُنفقت غالبيتها في تمويل نفقات استهلاكية لا يمكن تحديد مستوى الحاجة إليها أو فعاليتها.

وبحسب جدول صادر عن وزارة المالية لغاية تاريخ 2023/1/27، يتبيّن أن دعم الأدوية استهلك 243,7 مليون دولار من المبلغ، ويرجح أن تزداد حصة الأدوية بعدما طلبت وزارة الصحة تمويلاً إضافياً بقيمة 25 مليون دولار شهرياً على مدى 3 أشهر، أي ما يوازي 75 مليون دولار. كما حصلت مؤسّسة كهرباء لبنان على 223,4 مليون دولار، وأُنفق 121,3 مليون دولار لدعم شراء القمح، و13,2 مليون دولار لتغطية نفقات خاصة لإصدار جوازات السفر، و683 ألف دولار رسوم قانونية لوزارة العدل، و34,9 مليون دولار لقاء رسوم خاصة بحقوق السحب (SDR charges)، و109,8 مليون دولار لقاء ما وضعه وزير المال في خانة «القروض» من دون أي توضيح إضافي، علماً بأن الخليل سبق أن اقترح في جلسة مجلس الوزراء، في 14 نيسان 2022، استخدام حقوق السحب لتسديد المستحقات الدولية المتوجبة على لبنان، وغالبيتها عبارة عن اشتراكات مستحقة لصناديق ومؤسسات عربية ودولية. وقد طُلبت من الوزير يومها لائحة بهذه الاشتراكات، وكُلّف بالتفاوض مع الجهات المُقرضة لإعادة جدولة الديون وتقرّر منح المالية سلفة خزينة لدفع بعض هذه المستحقات. إلا أن الخليل لم يقدّم أي لائحة ولم يرضخ لقرار المجلس، بل طلب من حاكم مصرف لبنان تسديد المستحقات من حقوق السحب الخاصة بسبب عدم قانونية فتح اعتماد لها بالليرة على ما ذكره؛ ووافق سلامة سريعاً على طلبه!

ما سبق هو نموذج عن آلية إنفاق القسم الأكبر من هذه الأموال، علماً بأن تسارع عملية صرف هذه الأموال بدأ يظهر اعتباراً من نيسان 2022. قبل ذلك، كان ميقاتي يزايد في رسم الخطوط الحمر واضعاً خططاً وهمية كشرط للمسّ بدولار واحد من الـ SDR وعلى رأسها معمل للكهرباء أو تمويل خطة للنقل العام. وفُتح نقاش واسع في مجلسيّ الوزراء والنواب حول وضع أهداف واضحة لاستخدام المبلغ سواء لتمويل البطاقة التمويلية أو بناء معامل إنتاج كهرباء أو مشاريع أخرى ذات طابع استثماري لدعم نهوض الاقتصاد. آنذاك خلُص النقاش إلى ضرورة التمهل في اتخاذ أي قرار باعتبار أن المسألة «حساسة» وتتعلّق بذخيرة الدولة المتبقية في أيامها الصعبة، خصوصاً أن ثمة نموذجاً فاشلاً ماثلاً أمام كل القوى السياسية، وهو طريقة إدارة مصرف لبنان (بالاشتراك مع غالبية هذه القوى) للموجودات بالعملة الأجنبية. ولأن غالبية هذه القوى تعاونت وغطّت تبديد المليارات والأموال العامة، عمدت أيضاً إلى تبديد حقوق السحب وأثبتت أنها ليست أفضل من سلامة، بل بات كل وزير يحسب نفسه حاكماً بأمره، ويقدّم اقتراحاً لإنفاق جزء من حقوق السحب وفق ما يراه كاولويات، فيحصل على توقيع مجلس الوزراء لصرفها.

هكذا، بُددت دولارات الوحدات الخاصة ولم يتبقَ منها سوى نحو 392 مليون دولار، يتوقع ألا تصمد أكثر من ستة أشهر. عندها لن يكون أمام الحكومة سوى العودة إلى استخدام ما تبقى من موجودات مصرف لبنان بالعملة الأجنبية التي تتضاءل هي الأخرى.

(هيثم الموسوي)

تعريف عملة الصندوق

الـ«SDR»، أو حقوق السحب الخاصّة، هي العملة الخاصّة بصندوق النقد الدولي. وهي لدى توزيعها على المصارف المركزية من قبل الصندوق، تدخل في موازنة هذه المصارف تحت تصنيف الاحتياطات الأجنبية في موجوداتها. وقد خلق صندوق النقد هذه العملة عام 1969 استجابة للمخاوف من محدودية الدولار في لعب دور الأداة الوحيدة لتسوية الحسابات الدولية في ذلك الوقت. لذا، يكمن دور هذه الوحدة في زيادة السيولة الدولية، وذلك عبر تكاملها مع عملات الاحتياط المعتادة. ويمكن استخدام حقوق السحب الخاصة بعدّة طرق من قبل المصارف المركزية؛ يمكن تبادلها مع عملات أخرى بين هذه المصارف مقابل فائدة ضئيلة (تتغيّر نسبتها كل أسبوعين)، أو احتساب الوحدات التي يمتلكها المصرف المركزي من ضمن الاحتياطات الخاصّة به، وهو ما يمكن الاعتماد عليه للاستدانة الخارجية.

تساوي الـSDR الواحدة نحو 1,4 دولار، وتُحتسب قيمتها على أساس سلّة من خمس عملات، هي: الدولار، اليورو، الجنيه الاسترليني، الين والريوان. لكل عملة منها تثقيل (وزن) يُحتسب المعدّل على أساسه.

اخبار

نحو تعليق إضراب «أوجيرو»؟

عادت الأجواء الإيجابيّة تُخيّم على المفاوضات بين وزير الاتصالات جوني القرم ونقابة موظفي هيئة «أوجيرو»، بمبادرة من مدير عام «الهيئة» عماد كريديّة. الأخير لا يُريد أن تكون «أوجيرو» سبباً لإشكال في الشارع يولّد أزمة جديدة. لذلك، يُحاول تدوير الزوايا وإعادة الموظفين إلى عملهم مع ضمان حقوقهم في تحسين أُجورهم وزيادة الإيرادات بالدولار الفريش بما يتيح تحسين شبكات «أوجيرو» وخدماتها، كما قال لـ«الأخبار».

وعليه، عمل الموظفون حتى ساعات متأخرة من ليل أمس على تنقيح الورقة الإصلاحية التي تتضمن مطالبهم عبر تحسين الموارد من خلال إعادة النظر في الرسوم: تعرفة «أوجيرو» لمشتركيها بشكل مدروس، واستيفاء تعرفة استئجار الـ«E1» من قبل شركات الإنترنت الخاصة بالدولار، ومثلها تعرفة بيع الجيغا لشركتي الخليوي «تاتش» و«ألفا»، وضبط شركات الإنترنت غير الشرعي.

وقدّم الموظفون هذه الورقة إلى كريدية والقرم ليل أمس. وفي حال نالوا موافقة القرم على مطالبهم، يوافقون على لقائه وحده أو في حضور رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي، على أن ينالوا وعداً بعرض مطالبهم في أول جلسة لمجلس الوزراء.

هذا المسار الإيجابي، في حال حصوله، يعني إعلان النقابة تعليق إضرابها وعودة الموظفين إلى عملهم.

من جهة أخرى، تعرّضت سنترالات تابعة لـ«أوجيرو» توقفت مولداتها عن العمل لغياب المازوت، لعمليات اقتحام من عدد من موزعي الإنترنت في الأحياء ممن توقفوا عن تقديم خدمة الإنترنت إلى مشتركيهم بسبب خروج هذه السنترالات عن الشبكة. وعمد هؤلاء إلى تكسير أبواب السنترالات والاعتداء على حراسها لتعبئة المولدات بالمازوت بطريقة غير قانونية.

(الأخبار)

تحقيق

موؤشر متحرّك لجلسة غسيل الكلى: هل تُحلّ آلية الدفع؟

الإشكالية اليوم تتعلّق بالتوافق على القيمة التي ستُدفع شهرياً

رأجانا حمية

تقترب أزمة مرضى غسيل الكلى، اليوم، من الحلحلة مع الدخول في مفاوضات جدية بين وزارة الصحة العامة ونقابة أصحاب المستشفيات الخاصة في لبنان وجمعية أطباء غسيل الكلى. وفي آخر تحديث للمفاوضات القائمة بين الأطراف الثلاثة، جرى الاتفاق على أمرين «أساسيّين»، كما يصفهما نقيب أصحاب المستشفيات، سليمان هارون: أولهما التوافق على كلفة جلسة الغسيل لمرضى الكلى ومعها بدل أتعاب الأطباء، حيث جرى تحديد الكلفة بـ53 دولاراً أميركياً، ملحقة بعشرة دولارات بدل أتعاب الطبيب عن كل جلسة. أما الأمر الثاني، فيتعلق بالإجماع على وضع «مؤشر متحرّك لموضوع غسيل الكلى»، وفق ما أعلن وزير الصحة العامة، فراس أبيض. ومن المفترض أن يصدر هذا المؤشر شهرياً، بحيث ترسل المستشفيات فواتيرها الشهرية، على أن تُصرف وفق المؤشر على أساس سعر صرف الدولار.

وقد أتت هذه الخلاصة بعد جملة اجتماعات قامت بها وزارة الصحة على خطين، الأول مع أصحاب العلاقة من أطباء ومستشفيات، والثاني مع حكومة تصريف الأعمال التي وافقت أخيراً على طلب الوزارة بإعطاء سلف تُفوتر شهرياً لدعم مرضى غسيل الكلى الذين يُطبّبون على حساب الوزارة. كان المخاض عسيراً، إلا أنه سار كما يجب، يقول الأطباء. أما المخاض الآخر اليوم، والذي لا يبدو سهلاً، فهو كيفية الصرف، إذ لم يتم التوافق حتى اللحظة على آلية الصرف المفترضة، أي «طريقة الدفع»، بحسب هارون، المعطوفة حكماً على «عدم توفّر أموال في الدولة، وهي المعضلة التي تحل علينا وعلى الوزير والمريض سوية»، يضيف هارون.

وفي هذا السياق، تشير معلومات الأطباء إلى أن الإشكالية اليوم تتعلق بالتوافق على القيمة التي ستدفع شهرياً «حيث أن هناك رأي يطالب بدفع 80% من قيمة الجلسة على سعر المؤشر الشهري، على أن تصرف الـ20% في وقتٍ لاحق يتّفق عليه، فيما الوزارة تقول بدفع 60% من كلفة الجلسة شهرياً، على أن تبرمج الـ40% لاحقاً». ومنحى الوزارة هنا دونه مبررات، ومنها السؤال الهاجس المتعلّق «بقيمة السلفة والانسيابية في الدفع خصوصاً أنها تصرف من المصرف المركزي»، على ما تقول المصادر.

وبحسب الآلية القانونية، يُفترض أن يُحال ملف السلف إلى وزارة المال لنيل الموافقة عليه قبل أن تعمل الأخيرة على تحويله إلى مصرف لبنان. وهنا، الإشكالية: الدفع من مصرف لبنان، خصوصاً إذا ما أخذ في الاعتبار تجربة الأخير في ملف الأدوية. وتتخوّف المصادر هنا من أن تكون «عرقلة آلية الدفع على طريقة ما يحصل في الدواء، حيث لا انسيابية في الدفع». فهل يواجه مرضى غسيل الكلى مصير مرضى السرطان؟ أم أن آلية تعاطي المصرف مع هؤلاء ستكون أكثر سلاسة؟

(هيثم الموسوي)

تحقيق

«دار الأمان للمسنّين» تواجه خطر الإقفال

دانى الأمين

لم تترك الأزمة المالية مكاناً ينجو من الكارثة، واحد تلك الأمكنة هو مستشفى دار الأمان لرعاية المسنّين، التابع لجمعية المبرات الخيرية الإسلامية، في منطقة العباسية. فهذا الأخير بات اليوم، وبعد أربع سنوات من عمر الأزمة، في دائرة الخطر، مع الصعوبة التي يواجهها القيّمون عليه في تأمين السيولة اللازمة لاستكمال المهمّة. صحيح أن دوراً كثيرة تواجه المصير نفسه، إلا أن لهذه الدار خصوصيتها، لكونها المكان الوحيد لرعاية المسنين في منطقة الجنوب بأكملها. وهذا يعني أن أيّ خبار سيّئ سينعكس حكماً على تلك الفئة التي ستجد نفسها يوماً بلا ملجأ.

تُعدّ هذه الأزمة التي يمرّ بها المستشفى من أصعب الأزمات التي يواجهها منذ نشأته في عام 2005. فعلى مدى تلك السنوات الطويلة، استطاع المستشفى القيام بواجباته تجاه المسنين، إن كان لناحية قدرته الاستيعابية التي تبلغ مئة سرير موزّعة في ست طبقات، أو من خلال الخدمات الصحية الأساسية، التشخيصية والوقائية والعلاجية، وكذلك خدمات العلاج التأهيلي والفيزيائي، وتنظيم النشاطات الترفيهية والاجتماعية المختلفة. أما اليوم، فلم تعد الخدمات كما في السابق، بسبب الضائقة المالية وصعوبة تأمين موارد جديدة وانخفاض أعداد الموظفين فيه، إضافة إلى السبب الأهم الذي يتعلق بـ«انسحاب الدولة كلياً من أي دور رعائي لها لمساعدة المسنين، رغم أن المستشفى متعاقد مع وزارتي الشؤون الاجتماعية والصحة العامة»، يقول مدير المستشفى، الدكتور أسعد حيدر، مؤكداً أنه «منذ عام 2020، لم تدفع وزارة الصحة ما يتوجب عليها من مبالغ تُعتبر أصلاً رمزية». ولذلك، فقد أخذت جمعية المبرات، طوال هذه الفترة، على عاتقها توفير كلفة الرعاية للمسنين «بالتعاون والتكافل مع عدد من أقرباء المسنين».

(هيثم الموسوي)

استقالة موظفين

ولكن، بعد ارتفاع سعر صرف الدولار وانخفاض قيمة الرواتب، بدأت الأزمة تطفو على السطح، فمن جهة لم تستطع الجمعية رفع أجور العاملين بما يتناسب مع غلاء المعيشة، إذ بقي راتب الموظف أو الممرض يُراوح بين 7 و10 ملايين ليرة، ما دفع عدداً لا بأس به منهم إلى الاستقالة، من دون قدرة المؤسسة على تأمين البديل بسبب عدم القدرة على توفير الأجور العادلة. وفي السياق نفسه، يشير حيدر إلى أن «عدد الممرضات المشرفات على العناية انخفض إلى النصف، ما يزيد من العبء ويخفف من القدرة على تأمين كامل الخدمات الرعائية اللازمة». وإن كان المستشفى لا يزال متعاقداً مع 13 طبيباً متخصصاً، ولا يزال يغطي ما هو لازم وضروري لتأمين الرعاية للمسنين، إلا أن «القدرات المالية باتت شحيحة، بعدما تراجعت قيمة التبرّعات إلى أكثر من 80%».

...وانسحاب مسنّين

من جهة أخرى، تبرز معضلة تأمين كلفة رعاية المسنّ، مع وصولها اليوم إلى 15 مليون ليرة شهرياً بالحدّ الأدنى. وقد انعكست هذه الكلفة، ليس فقط على المؤسسة، وإنما أيضاً على عائلات المسنين، إذ اضطر البعض للتخلي عن الدار بسبب عدم القدرة على دفع ما يتوجّب، كما القيام بالزيارات الأسبوعية بسبب غلاء كلفة النقل. وتشير المعلومات إلى أن عدد المسنين انخفض في الدار من 80 إلى 64. وقد أحدث هذا الأمر تداعيات سلبية على نفسية المسنين، إذ تشير مسؤولة العلاقات العامة في الدار غزوى حيدر إلى أن «عدداً من المسنين رفض الخروج والعودة إلى المنازل بسبب التعلّق بالدار، حيث يشعر كثيرون بالحنان والاهتمام، وخصوصاً أنها تؤمن لهم كل وسائل الراحة إضافة الى الأنشطة الترفيهية والعلاجية». ولذلك تأمل حيدر «من كل من يستطيع المساعدة تقديم ما يمكن لخدمة هؤلاء المسنين الذين لا يجدون بمعظمهم بديلاً من الدار، إما لأنهم فقدوا كلّ أقربائهم، ولا أولاد لهم، وإما لأن بعضهم كان في الأصل بلا مأوى أو يعمل في الطرقات».

نادي المسنّات في الطيبة

لا يشبه «نادي المسنّات» في بلدة الطيبة، الذي تشرف عليه البلدية، مستشفى دار الأمان. ولكن يمكن اعتباره مكاناً آخر استثنائياً لرعاية المسنّات حصراً، وإن كان ليس مقراً للإقامة وإنما فقط أشبه بفسحة للترفيه، حيث تُنقل المسنّات في كل صباح إليه وعلى مدى ثلاثة أيام أسبوعياً بباصات خاصة بالبلدية.

يقدّم هذا النادي خدمات ترفيهية ورياضية، كما ينظّم ورش أشغال خاصة بالمسنات، ويراقب صحتهن من خلال العيادة الطبية الموجودة فيه ومدى التزامهن بتناول الدواء، وقواعد الغذاء المطلوبة. واليوم، يزداد روّاد النادي، بحسب المديرة صباح فتوني.

هلع الإمبراطوريّة الأميركيّة: بوادر ضعف وارتباك

أسعد أبو خليك *

الولايات المتحدة، كقوّة عظمى، ليست على ما يرام. الإمبراطوريّة تعاني من انقسامات داخليّة حادّة لم تشهدها منذ الحرب الأهليّة. والسيطرة الأميركيّة الكليّة على مقدرات الكون تضعف مع بروز قوى مُنافسة. صحيح أن الأداء العسكري الروسي لم يصل إلى مستوى التنافس المتساوي مع القوة العسكرية الأميركيّة لكن هذا الدعم الهائل بنحو 150 ملياراً من المساعدات العسكريّة الغربيّة لأوكرانيا يشكّك بصحّة التسخيف الغربي لأداء روسيا في الحرب. حتى لو أن روسيا ما زالت عسكرياً في مصاف الدول النامية إلا أن أميركا تتعامل معها على أنها خطر جدّي (وقد أعادت القيادة العسكرية والسياسية الأميركيّة النظر في دراسة وتخطيط الأخطار الاستراتيجية التي تواجه السيطرة الأميركية من أجل تعظيم الخطر الروسي عمّا كان عليه في تقديرات سابقة). ومهما كان الأداء العسكري الروسي أقلّ من المتوقّع فإن الزخم الغربي في دعم أوكرانيا بدأ مسيرة لن تنتهي من بناء القوة العسكرية الروسية. الصلف الأميركي أشعل صراعاً سيستمرّ لعقود طويلة وهو حتماً سيضعف من السيطرة الأميركيّة على العالم.

تستطيع أن تقارن وضع الجيش الألماني في العشرينيّات من القرن الماضي مع ما أصبح عليه في عقد واحد من الزمن. أميركا بنزقها تحدّ روسيا على تدعيم وتفخيم تسلّحها كي تصبح أقوى. هي مثل مثال العبد والسيّد في «فينومينولوجيا الروح» لهيغل. كيف أن السيّد من دون أن يدري يدفع العبد للتحرّر.

> **أميركا بنزقها تحثّ روسيا على تدعيم وتفخيم تسلّحها كي تصبح أقوى. هي مثل مثال العبد والسيّد في «فينومينولوجيا الروح» لهيغل. كيف ان السيّد من دون أن يدري يدفع العبد للتحرّر.**
>
> **الغرب بات كتلة متراصّة أكثر مما كان حلف وارسو. لا مجال للاختلاف، وأميركا تسعى لضخ الجميع. هناك نقاش حقيقي في سويسرا عن جدوى الحياد. تاريخ أوروبا يُعاد صنعه**

أميركا تعيد تشكيل منظومة أعدائها وأصدقائها، وحالة الهلع التي انتابتها بعد اشتعال جبهة أوكرانيا سرّعت من رزنامة صعود الصين. الصين كانت في حالة صعود بطيء ومُدروس وصامت، تماماً كما أراد لها مؤسّس الحقبة الحالية، دينغ شياو بنغ. كانت الصين تُعمل على سكّة دعم الندّية التحدّي للدول النامية وهذا ما أفقد أميركا صوابها. السفيرة الأميركيّة في لبنان، كما سفراء أميركا في كل دول العالم، تحذّر البلدان من تلقّي المعونة الصينيّة لأن الصين، بحسب الزعم الواقع لأميركا، تنتظر شروطاً في المقابل. أميركا قلقة من مساعدات صينية إنسانيّة وتعتبرها (هي و«ميغافون») عملاً عدوانيّاً. وهل أن الدعم والتمويل الأميركي (خارج دولة إسرائيل) غير مشروط؟ أميركا، مثلاً، تفرض شروطاً مهينة على الجيش اللبناني وعندما أطلق ضابط رشقة رصاص باتجاه العدوّ في حادثة العديسة في 2010 قامت قيامة الكونغرس واستُدعي قائد الجيش يومها، جان قهوجي، على عجل وأُبلغ رسميّاً بأن رصاصة واحدة ضد إسرائيل ستقضي على كل الدعم الأميركي للبنان (لم تُطلق رصاصة ضد جندي إسرائيلي مذّاك). أميركا تفرض شروطاً لاستمرار دعمها وتفرض شروطاً من أجل تلقّي الدعم. لكن كيف تجلّى القلق أو الهلع الأميركي في السنة الماضية؟

1) التطابق في المواقف في دعم آلة الحرب بين قيادة الحزبَيْن. لم أرَ مثل هذا التطابق بين أقصى اليمين وأقصى اليسار في كل السنوات بعد حرب فيتنام (ويشمل التطابق عصبة الأربعة اليساريّين في مجلس النواب). الإصرار على التطابق يعبّر عن قلق وجودي داهم. الإجماع سيّد الموقف وأي حيد عن دعم الحرب المطلق يُفقد المرء مشروعيّته السياسيّة (حتى اليساري، برني ساندرز، ضرب التحية العسكريّة وأعلن تأييده لمواقف بايدن، الذي يشكل اليوم أكبر خطر على السلام العالمي منذ أن أمر هاري ترومان بقصف المدنيّين اليابانيّين بقنابل نوويّة). هذا التراص غير عادي ولم تشهد الحروب الأميركية الباهظة الثمن هذا الإجماع من قبل. صحيح أن محافظ فلوريدا، رون دي سانتس (وهو المرشح الأكثر جديّة للرئاسة عن الحزب الجمهوري) تجرأ واعتبر أن دعم أوكرانيا لا يشكل مصلحة حيويّة للولايات المتحدة وأن الحرب ليست إلا خلافاً حدوديّاً، لكنه سرعان ما اضطر إلى التراجع والتنديد ببوتين والتعبير عن حق أوكرانيا في الدفاع.

2) استبداء الاستخبارات الأميركية بطريقة غير مباشرة على مجمل التغطية الغربيّة للحرب. تجول في الإعلام الأميركي والأوروبي (والعربي «المستقل» التابع، خصوصاً مواقع تمويل سوروس ودول حلف شمال الأطلسي) ولا تجد أي اختلاف. اليسار واليمين والوسط متفقون، و«الخضر» في ألمانيا أكثر حماسة لإشعال الحرب العالمية الثالثة من غيرهم. وكل مصادر المعلومات عن الحرب مستقاة من المصادر نفسها: وزارة الدفاع الأميركية والبريطانية وأجهزة استخباراتهم. صحيح، هناك نسب أخبار إلى مصادر في القيادة العسكرية الأوكرانية لكنها قيادة تابعة تنفّذ الأوامر الأميركية بحذافيرها. وهناك طبعاً مراكز الأبحاث التي تستضيف «خبراء» يستفيدون من عقود مع مواقع الحرب الأميركيّة، وجلّهم من المسؤولين السابقين واللاحقين.

3) الإنفاق الهائل لمنع التطوّر التكنولوجي للصين. رصد الكونغرس في عهد بايدن مئات المليارات من أجل دعم صناعة الرقائق الميكرو دعم (وخلق) صناعات تحصّن المجتمع الأميركي ضد الاستيراد التكنولوجي من الصين. هناك عقوبات هائلة مفروضة على الصين وأميركا تحارب شركة التكنولوجيا الصينية العملاقة، «هواوي». كي تفهم أسباب الهلع الأميركي: تعقد مقارنة مع سنوات الحرب الباردة. هل خشيت أميركا يوماً من انتشار الراديو والتكنولوجيا الصينيّة في الغرب؟ هل وصل الاعتماد الاستهلاكي العالمي على أجهزة راديو سوفياتية إلى درجة أن أميركا حاربت انتشارها وحظرتها من الاستعمال؟ لا، لم تكن البضائع السوفياتية في وارد منافسة البضائع اليابانية والأميركيّة. منذ الخمسينيّات، اعتبرت أميركا أنها تفوّقت تكنولوجياً وعسكريّاً.

4) الاتكال الحصري على القوى الصلبة. من كان يتخيّل أن عهد جورج بوش الذي ارتبط بالحروب والغزوات تحدّث عن القوّة الناعمة أكثر من عصر بايدن، الديموقراطي؟ أميركا تعلن جهاراً أن صراعها مع الصين وروسيا لن يُحسم إلا بالقوة العسكريّة وحدها. أميركا مشاركة في الحرب، وبولندا ليست إلا موقعاً متقدّماً للقوّات العسكرية الأميركيّة تحت ستار حلف شمال الأطلسي. كان أميركا فقدت الثقة بنفسها وقدراتها وباتت تجد أنها مضطرة للضرب خبط عشواء. ليس من حديث عن كسب العقول والقلوب، كما كان الحديث في الماضي. الميزانيّة العسكريّة وصلت إلى أعلى حد لها في إدارة الديموقراطي جو بايدن. لم يستطع حتى الجمهوريّين المزايدة عليه في هذا الصدد.

5) خسرت أميركا معركة كسب الرأي العالمي لمصلحة الحرب في أوكرانيا. في الأشهر الأولى، كانت «نيويورك تايمز» لا تتورّع عن نشر عناوين من نوع «العالم وراء بايدن»، أو «كلّ الدول تدين روسيا». وفي نص المقالات بهذه العناوين كنت تتبين أنهم يعنون العالم الغربي فقط. وعبارة «المجتمع الدولي» الشائعة الاستعمال في لبنان لم تعن يوماً إلا حلف شمال الأطلسي. صحيح أن أميركا تؤثّر في اقتراع دول العالم في الأمم المتحدة عبر الضغط والتهديد والتمويل. نعرف القصّة منذ تفصيل التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة عشيّة صدور قرار تقسيم فلسطين في عام 1947. أميركا توصّلت إلى النتيجة المتوخّاة بالتهديد والوعيد (راجع في هذا الشأن الفصل في كتاب وليد خالدي القيّم، «من الملاذ إلى الغزو»). العالم لم يسرّ في مسار «الناتو». يستطيع «الناتو» أن يزهّو بدعم المواقع العربيّة «المستقلّة» التي يموّلها بالاشتراك مع سوروس، لكنه فشل في كسب الرأي العام في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينيّة. كيف يمكن لأميركا أن تزعم أن العالم يدعم موقفها وهناك الهند والصين وفيتنام وكوريا الشمالية وباكستان ودول الخليج، وخصوصاً أفريقيا، خارج نطاق حلفها الحربي؟ أميركا أرسلت وزير الخارجية ثم نائبة الرئيس (لأنها من أصول هندية وأفريقيّة) إلى أفريقيا لكن روسيا كسبت السباق. حكام أفريقيا شرحوا لوزير الخارجيّة الأميركي، وأمام الكاميرات، أنهم لا يزالون يشعرون بدين للاتحاد السوفياتي الذي دعم نضالهم من أجل التحرّر فيما كانت أميركا تدعم الأقليات البيضاء وأدواتها من الأفارقة في القارّة. كانت جولة وزير الخارجية الروسي أقل كلفة.

6) يتفلّت حلفاء أميركا من تحت سيطرتها. إسرائيل بالرغم من الحجم الهائل للتمويل عبر العقود فإنها اجترحت سياسة خاصّة بها نحو الحرب في أوكرانيا (نشر مكتب «خدمة أبحاث الكونغرس» أخيراً دراسة يرد فيها أن حجم الدعم الأميركي لإسرائيل بلغ 158 مليار دولار. قد يكون المبلغ أقلّ اعتباراً في زمن التمويل الغربي الهائل لأوكرانيا لكن التقرير المذكور يذكر أن إسرائيل هي أكبر متلقٍّ للتمويل الأميركي منذ الحرب العالميّة الثانية). حلفاء أميركا الخليجيّون يتفلّتون وإن قليلاً من السيطرة الأميركيّة الكليّة ويعقدون اتفاقات مع الصين في الوقت الذي تُعلن فيه أميركا حالة عداء مطلقة للصين (في مكالمة هاتفيّة قبل أيّام تحدّث محمد بن سلمان مع الرئيس الصيني عن «الشراكة الاستراتيجيّة» بين البلدَيْن). ما كان يمكن تصوّر تفلّت دول الخليج من السيطرة الأميركية، وتحدّي الإرادة الأميركيّة، في زمن رونالد ريغان. كان النظام السعودي يموّل كل الحركات الوجعيّة التي كانت أميركا الرجعية تباركها، من الحزب الديموقراطي المسيحي في إيطاليا إلى عصابات اليمين (الكونترا) في نيكاراغوا إلى مجرمي حركة جونّاس سافمبي في أنغولا. لا يمكن للحلفاء أن يتفلّتوا، وإن قليلاً، من السيطرة لو لم يشعروا بأن السطوة الإمبراطوريّة لم تعد على ما كانت عليه من قبل. السياسات الخارجيّة لحلفاء أميركا لم ترقَ لها في الحرب الأوكرانيّة. والاقتراع في الأمم المتحدة لا يمكن أن يُعد انتصاراً كما كان بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. عندما قرّر جورج بوش الأب أن يذهب إلى الأمم المتحدة في عام 1991 وينقض اقتراع الهيئة العامة في 1975 لمصلحة قرار يعتبر أن الصهيونية هي حركة عنصريّة، ماشت دول العالم النامي إرادة بوش وذلك خوفاً من رأس الإمبراطوريّة الواحدة.

7) قدرة أميركا على عزل أعدائها تنقص باستمرار. بات لها عدد هائل من الأعداء. عقوبات تلي العقوبات، وتصبح الأقربين والأبعدين. عقوبات على إيران وكوبا وكوريا الشمالية وسوريا ثم عقوبات على الصين وروسيا. عندما تفرط في استعمال العقوبات فإنك بذلك تحثّ الأعداء على رصّ الصفوف والتحالف من أجل ردّ أثر العقوبات. ها هي الصين وروسيا تعملان من أجل تقويض العقوبات الأميركيّة والعمل على إيجاد وسيلة تعامل ماليّة خارج السيطرة الأميركيّة. وإيران تتعامل مع الصين وروسيا من خارج نظام العقوبات الأميركي. حتى الإمارات: هي متهمة اليوم في أميركا بإيواء أثرياء قريبين من بوتين، وأن الدولة باتت مركزاً لتهريب وتبييض الأموال (من إيران وروسيا). والسعودية تقبل وساطة صينيّة للتصالح مع الندّ أعداء أميركا وإسرائيل (طبعاً، للسعودية حساباتها الخاصّة، ولي عهود لها لاحقاً) ومجرّد تحدّي الإرادة الأميركيّة يضعف من سطوة أميركا كقوّة عظمى. والتصالح الجاري بين دول الخليج وبين النظام السوري على الرغم من مجاهرة الإدارة الأميركيّة بمعارضتها دليل آخر على التفلّت في معسكر الحلفاء. أين كانت أميركا التي تأمر فتُطاع من قبل كل حلفائها؟

8) حجم الإنفاق الأميركي على الحرب في أوكرانيا ليس دليل قوّة أبداً. أميركا تثبت في إعلانات المزيد من التمويل والتسليح للطرف الأوكراني أنها في حالة عجز وليس في حالة تقرير مصير الحرب. لو أن روسيا مهزومة كلياً، كما توحي وسائل الإعلام الغربي، فلماذا كل هذا الإنفاق والتسليح الغربي لأوكرانيا؟ حتى الاعتراف بالفساد في داخل القيادة الأوكرانية وتسيّب أكثر من مليار دولار من المال الغربي لم يعد النظر بقرارات التمويل الهائل. والإصرار على مدّ أوكرانيا بالسلاح له مردود سلبي على حالة الجاهزيّة العسكريّة الغربيّة (هناك اعتراف بذلك في فرنسا وأميركا بالنسبة إلى قاذفات الصواريخ). المخزون الاستراتيجي للبلدين بدأ يضعف وأميركا أمرت بتسريع وتيرة تصنيع قذائف الصواريخ والمدافع لأنها وجدت بطئاً في الإنتاج). أميركا اليوم مجتمع حربي. هناك حالة اقتصادية غير مزدهرة وتفاقم من البطالة والمرتبات والغلاء لكن تمويل أوكرانيا يسود على غيره من أولويّات الإنفاق. هذه الحالة لا بدّ لها أن تنعكس في الانتخابات وهذا ما أراد المحافظ دي سانتيس أن يفعله، وكان رئيس مجلس النوّاب، كيفن ماكرثي، قد قال كلاماً مشابهاً في آخر العام الماضي.

(كالفت شيف)

9) كان للتعامل الأميركي مع الحرب الروسيّة مردود استراتيجي عكسي. يُحسب لريتشارد نيكسون في أواخر الستينيّات أنه وجد فرصة للنفاذ الاستراتيجي من خلال التقارب مع الصين لعزل الاتحاد السوفياتي. عندما يكون هناك على الساحة الدولية ثلاثة أقطاب كبار، فإن أسوأ وضع ممكن لأي قطب منهم أن يكون على عداء شديد مع القطبيْن الآخريْن. إنّ التقارب بين الصين والولايات المتحدة في السبعينيّات كان عاملاً مهماً في عزل الاتحاد السوفياتي وفي سقوط الإمبراطورية الشيوعية في ما بعد. لو أن الاتحاد السوفياتي سبق أميركا في التقارب مع الصين وفي دفن حالة العداء المستحكم بين الصين والاتحاد السوفياتي لكان ذلك أمدّ بعمر الإمبراطوريّة الشيوعيّة. ولعلّه كان مؤثّراً في عزل الولايات المتحدة. لكن التحجّر الأيديولوجي تحكّم بالعهد البريجنيفي. لم يرَ بريجنيف حرجاً من التقارب مع واشنطن (ومن قبول هدايا السيارات الأميركيّة الفاخرة التي ضمّها لمجموعته من السيّارات الفاخرة الشيوعية). اليوم أميركا بعنادها ورعونتها، افتعلت معجزة. قرّبت الصين وروسيا وضمتهم إلى تحالف استراتيجي لم يكن في حسبان الصين أبداً. الصين كانت شديدة الحذر في القيام بأي خطوة يمكن أن تثير حساسيات أميركيّة. لكن بيانات مؤتمر الحزب الحاكم الأخيرة لم يترك مجالاً للشك: الصين على قناعة أن أميركا ستعاديها بكل الطرق. كانت الحرب في أوكرانيا فرصة استراتيجيّة لدفع الحكومة الأميركيّة لتحسين العلاقة مع الصين وإبعادها عن روسيا. وكانت الصين في بداية الأزمة على مسافة أبعد نسبياً من روسيا وكانت قد عبّرت عن رفض خرق السيادة. وبدلاً من الاستفادة بحسب نهج الربح والخسارة في صنع القرار، فإن جو بايدن نبذ كل السلوك المعهود في تقرير المصلحة الاستراتيجيّة. من يقرّر أن يوحّد خصميْه في خضم المعركة؟ هذه مثل قرار هتلر بغزو الاتحاد السوفياتي بعد أن كان قد وقّع معه اتفاقية عدم اعتداء لتحييده في حملته الأوروبيّة. لا شكّ أن بايدن سيواجه حكم التاريخ كواحد من أقلّ الرؤساء حكمةً، من منظور المصلحة الأميركيّة. وخلافاً لإدارات سابقة، فإنه لا يلقى العون أو الإرشاد من قبل نائبة الرئيس التي قد تكون من أقلّ نواب الرئيس حكمةً ومعرفةً وقدرةً وكفاءةً. بايدن، قرّر أن يصعّد نحو كل أعداء أميركا في وقت واحد: صعّد ضد إيران وضد كوريا الشمالية وضد روسيا وضد الصين. وفي إيران، كان يمكن له أن يضبط النشاط الإيراني في دعم روسيا، لو أنه سارع إلى العودة إلى الاتفاق النووي من زمن أوباما. لا، هو قرّر أن هناك فرصة لإسقاط النظام الإيراني (وإسقاط النظام حلم يراود كل رئيس أميركي من عهد كارتر إلى اليوم). بايدن ضمن رصّ صفوف أعدائه كما أنه أعطى للصين فكرة واضحة جداً عن طريقة تعاطيه مع سيطرة صينيّة محتملة على تايوان من خلال حملة عسكريّة. وهذا التوافد المستمرّ من قبل أقطاب الحزبَيْن إلى تايوان وإعلان بايدن أن الولايات المتحدة ستتدخّل عسكرياً للدفاع عن تايوان يستفزّ الصين لكنه يجعلها أكثر استعداداً للمعركة المتوقّعة. هذا الموقف الأميركي في إعلان نيّة التدخّل العسكري لدعم تايوان يناقض عقوداً من السياسات المبهمة الإعلان من قبل أميركا، مسايرةً للصين. تعرف الصين أنها تتعامل مع قوة غاشمة لا تقبل حتى بالمنافسة الاقتصادية، فما بالك بالمنافسة العسكرية.

10) من حق الحكومة الأميركيّة أن تزهو بتوحيد صفوف حلف شمال الأطلسي. ومن حقّها أيضاً أن تُنهي حالة حياد مصطنع ظهر في الماضي (حتى في زمن الحرب الباردة) من قبل سويسرا (التي تنشط في التصنيع العسكري) ومن قبل فنلندا. الغرب بات كتلة متراصّة أكثر مما كان حلف وارسو. لا مجال للاختلاف، وأميركا تسعى لضمّ الجميع. هناك نقاش حقيقي في سويسرا عن جدوى الحياد. تاريخ أوروبا يُعاد صنعه. لكن التراص الغربي له سمة عرقيّة ودينيّة واحدة. بات تحالف شمال الأطلسي أشبه بتحالف مسيحي للعرق الأبيض. هذا لا يساعد على نشر رسالة الغرب (مهما كان مضمونها خصوصاً أنها تتغيّر باستمرار، من مكافحة الشيوعيّة إلى مكافحة الإرهاب إلى مكافحة نوع زعيتر، إلخ). دول العالم النامي ابتعدت عن حلف شمال الأطلسي في هذه الأزمة. استعان جهاز البروباغندا الأميركي في بداية الحرب بتصريح لدبلوماسي كيني (وهو من أدوات الحكومة الأميركيّة) لكن الحذر شاب تصريحات الدبلوماسيّين الأفارقة منذ ذلك الوقت.

لا يمكن النظر إلى الحرب الجارية ودراسة بوادر ومصادر الهلع الأميركي والحكم على الإمبراطوريّة الأميركيّة بالسقوط المحتوم. من يدرس تاريخ الإمبراطوريّات يُدرك أن انهيار الإمبراطوريّات يأخذ عقوداً وقروناً، لا سنوات. متى سقطت الإمبراطورية العربية-الإسلاميّة؟ متى سقطت الإمبراطوريّة العثمانيّة أو الرومانيّة؟ لن تجد جواباً واحداً. هناك أحكام مختلفة من المؤرّخين. لكن من الأكيد أن أميركا قلقة جداً على توزيع القوى حول العالم. الوضع تغيّر كثيراً عن نهاية الحرب الباردة عندما حكم روسيا أداة أميركيّة مطيع. هذا القلق الأميركي لا يعني استكانة أو توخّي الحذر أو التمنّع عن خوض المغامرات. على العكس. إن الإمبراطورية في حالة القلق تخيف أكثر.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

عشرينيّة سقوط بغداد: يوم انتعش «الحلم الكردي»

عبد المنعم علي عيسى*

كان مشهد الطائرات التي اخترقت جسد برجَي التجارة العالميين في نيويورك يوم 11 أيلول 2001 ثقيلاً على دولة عظمى لم تتم عقدها الأول من انفرادها بالسيطرة العالمية، الذي جرى ما بعد الإعلان عن تفكك الاتحاد السوفياتي وانهياره يوم 25 كانون الأول عام 1991. والمؤكد هو أن الحدث كان يحمل، منذ اللحظات الأولى لعرضه على الشاشات بذور تحوّلات وملامح تغييرات حتميّة سوف تكون ناجمة عنه بالضرورة، لكن من دون أن تكون تلك الملامح واضحة المعالم في: أين؟ ومتى سيحدث ذلك؟ حيث ستكون للإجابة عن السؤالين السابقين دلالات عدة تكشف عمّا يدور في أعماق ذهنية صانع القرار السياسي الأميركي. فالجغرافيا التي سيحدث فيها الرد ستحدّد بدرجة ما طريقة التفكير الأميركية، وأين تريد الاستثمار في ما حدث، وخصوصاً أن الفعل، أي فعل الرد، سيحمل بين ثناياه ولا شك وسوماً يراد من خلالها القول بأن زوال الهيمنة الأميركيه أمر لا يزال بعيداً، ما يعني استخداماً أقصى للطاقات والقدرات.

ولربما ظهر ذلك بوضوح من خلال حديث بول بريمر، الحاكم الأميركي للعراق ما بين 2003 - 2004، الذي أجراه مع جريدة «الشرق الأوسط» ونشرته يوم 16 آذار المنصرم. وفيه يقول بريمر بالحرف إن أميركا «لا تحتاج إلى الحصول على موافقة الأمم المتحدة عندما يهدّد الخطر المصالح الأميركية». ولا يختلف اثنان هنا على أن كبرى تلك المصالح كانت، ولا تزال، هي انتزاع اعتراف عالمي بانفراد الولايات المتحدة بسطوتها على أرجاء المعمورة.

وإذا ما كان غزو أفغانستان «ثأرياً» بدرجة كبيرة لتأكيد هذي الأخيرة، فإنّ نظيره في العراق كان يحمل دلالات عدة قياساً إلى معطيات عدة، أبرزها أن من الصعب اتهام بغداد - صدام بعلاقة ما مع تنظيم «القاعدة»، فضلاً عن أنّ أسامة بن لادن، زعيم ذلك التنظيم، كثيراً ما اتّهم نظام «البعث» العراقي بـ«الكفر» أسوة بما فعل مع معظم الأنظمة العربية. لكنه ظهر بدرجة أكبر عندما جاء بريمر على ذكر استراتيجية فريق بوش الابن ومن حوله مهندسو الحقبة المقبلة بقوله إن ما جرى «أنهى حكماً للسنّة استمر لألف عام». هنا الكشف كان صارخاً لجهة المحاولة في حفر أخاديد ما بين مكوّنات العراق الثلاثة، السنّة والشيعة والأكراد.

كان الكرد من بين، إن لم يكن من أهمّ، من تلقّفوا ذلك الحدث الذي راحت قياداتهم تعاينه وهي تدرك أن ما سبقه ليس كما بعده، وأن واشنطن «الجريحة» عام 2001 ليست هي واشنطن المنتشية بمفاعيل «الانتصار» الحاصل في يوغسلافيا عام 1999، والذي رسّخ بدرجة كبيرة تراسيم السطوة الأميركية بدرجة فاقعة. ولذا، فإنّ القرار بغزو العراق وإسقاط النظام القائم فيه كان «استثمارياً» في حقول استعادة «الهيبة» الأميركية، لكنه كان يحمل بين طيّاته مراماً أبعد من نوع أنّ «انفجار» النسيج العراقي، الذي من المحتّم أن يحدث بعد الفعل، سوف تنجم عنه بالضرورة تداعيات كبرى على مختلف الأنساق القائمة في المنطقة لجهة التماثل الحاصل في ما بينها من جهة، ثم لجهة «الهشاشة» التي تتمتع بها تلك النسج كنتيجة لغياب تجارب وازنة يكون من شأنها صهر المكونات، الإثنية والدينية والعرقية، بدرجة يصبح فيها ناتج الصهر خادماً لمشروع قيام الدول ووضع عربة نهوضها على المسار الصحيح. والثابت أن المحيط العراقي في مجمله كان يتهيّب انفجار التركيبة العراقية، لكن بدرجات متفاوتة، حتى إذا ما تأكّد حدوث الفعل، بدأ من شباط 2002، الذي شهد تأكيدات أميركية راحت واشنطن تبثّها في شتى الاتجاهات، مضت تلك القوى ترسم سياساتها، وتضع مشاريعها، التي تضمن لها مصالحها ما بعد الحدث الذي أضحى شبه مؤكد.

من بين ذلك المحيط، إذا صحّ التعبير هنا، كان الأكراد العراقيون يرقبون ما يجري بدقة تامة، كانت الإشارات التي وردت إليهم محل شكوك، قياساً إلى تجارب الماضي التي كان «الخذلان» فيها سيد المشهد. لكنهم، في الآن ذاته، أيدوا استعداداً لأداء دور «الخنجر» الذي يمكنه أن ينغمس في صدر صدام بذرائع من نوع «الاستبداد» و«الظلومية» اللازمين هنا لتبرير الدور الذي سوف يتلبّسونه في ما بعد. والراجح أن فعل الاستعداد هنا كان يرقى مناخاً عاماً عربياً أصابه الترهّل، وهو لا يبدو مدركاً جيداً لمآلات «اللحظة» التي سوف تتولّد بفعل سقوط بغداد. صحيح أن هؤلاء، لم يكونوا بوضعية قادرة على مواجهة الفعل، وصولاً إلى منع وقوعه، لكن الصحيح أيضاً أنهم كانوا قادرين، فيما لو توافرت الإرادة والتنسيق، على احتوائه وصولاً إلى وضع الحدث المرتقب في قوالب يكون من شأنها إضعاف «ارتدادات» الحدث على مستوى الداخل العراقي جنباً إلى جنب المحيطين الأقرب، فالأبعد.

يقول مسعود بارزاني في لقاء أجراه معه غسان شربل رئيس تحرير جريدة «الشرق الأوسط»، نشرته الأخيرة في شهر آذار من هذا العام، إنه قابل من الـ«CIA» زاره في 17 شباط عام 2002، ويضيف إن الوفد استخدم عبارات لافتة من نوع أن «الولايات المتحدة قررت إزاحة نظام صدام حسين»، وإن «الهجوم سيكون من محاور عدة». لكن الأهم بالنسبة إلينا، يضيف البارزاني، كان قولهم «سيكون لدور الإقليم (الذي يقصد به هنا كردستان العراق) أهمية كبيرة في حساباتنا». وما كان للبارزاني أن يضيع هنا فرصة من هذا العيار الذي اعتبره كافياً لاختراق «مدرعة» تعاني أصلاً من أعطاب عدة. الأمر الذي يمكن تلمّسه في ردّ هنا الأخير على موفد صدام الذي أرسله إليه بعد أيام من لقائه وفد الـ«CIA» الآنف الذكر، والذي عبّر فيه الموفد عن «استعداد نظام بغداد لفعل أي شيء يرغب فيه»، لكن البارزاني قال إن «الوقت بات متأخراً جداً». وهذا الطرح يأتي «بعد خراب العراق كله وليس البصرة وحدها». ثم إن أي اتفاق مع النظام «لن يصمد، ولسوف يتحوّل إلى عبء كبير على شعب كردستان»، كان هذا قراراً بانزياح كردي تام لرغبات واشنطن التي أرادت استخدام «الخنجر، لتقطيع أوصال العراق، فيما الرؤيا تقول إن الفعل سيكون تأسيسياً لتكراره في المحيط الذي يتشابه في تركيبته مع التركيبة المستهدفة.

في 15 نيسان عام 2002، التقى وفد كردي موسع في فيرجينيا الأميركية نظيراً أميركياً له ضمّ مسؤولاً عن الـ«CIA» وآخر من مجلس الأمن القومي، ثم رايان كروكر مساعد وزير الخارجية الأميركي الذي قال: «أميركا قررت وجوب إزاحة صدام عن السلطة»، لكن الأهم في ما قاله أن «أميركا موافقة على اعتماد النظام الفيدرالي في العراق»، ومن دون أدنى شك فقد قرأ الوفد الكردي، الذي جمع مسعود بارزاني وجلال طالباني، هذه العبارة الأخيرة على أنها إنعاش لـ«الحلم» الكردي الذي مزّقته معاهدة «لوزان» عام 1923.

واقع الأمر أن نظام صدام حسين كان قد أضحى منذ «غزوة الكويت» عام 1990 عامل تفجير على امتداد المنطقة، وأخطر ما فيه أنه ظهر كساع إلى تمزيق حدود «سايكس - بيكو» 1916 التي كان الكل يريدون الحفاظ عليها. يقول عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية 2001 - 2011، في لقاء أجرته معه جريدة «الشرق الأوسط»، ونشرته في 18 آذار، إن «التحالف العربي - الدولي الذي تشكّل لتحرير الكويت عام 1991 أرسى واقعاً جديداً بشأن أمن المنطقة، ووضع حدّاً لطموحات صدام»، وأضاف إن تلك الطموحات «لم تكن تتوقف عند الكويت، وإن سوريا كانت المحطة التالية على أجندة التوسع لأسباب تتعلق بالهيمنة على تيار البعث». والشاهد هو أن الكثير من المعطيات والمؤشرات والشهادات التي كان من بينها كلام المفكر العراقي حسن العلوي، المقرّب من صدام، في كتابه «عقدة الطين في أسوار الكويت»، كانت تقول إن صدام كان يريد إقامة دولة قوية تمتد من ميناء اللاذقية في أقصى الغرب حتى البصرة في أقصى الشرق، وذاك وحده يمثل لعباً بتوازنات إقليمية من الصعب أن تجد لها أنصاراً في الإقليم، فضلاً عن أنها ستلقى خصوماً دوليين سوف يعمدون إلى وأدها لاعتبارات عدة، لعل أبرزها أمن الكيان المسمّى «إسرائيل».

صيف عام 2002 بدا كأن «العقبة» التركية وازنة لدرجة قد تدفع بواشنطن إلى مراجعة حساباتها. ففي اجتماع ضمّ تومي فرانك، قائد القيادة الأميركية الوسطى، إلى مسؤولين آخرين، أشار هؤلاء إلى أن «قيام دولة كردية» هو أبعد من خط أحمر، وهو يرقى لأن يكون «لغماً» سيمهّد لتفجير الكيان التركي برمّته. وعندما نقلت هذه الإشارة إلى أكراد العراق، سعى هؤلاء إلى حلحلتها عبر تقديم ضمانات في شتى الاتجاهات. فمن الناحية الإيديولوجية، قال هؤلاء، إن حزبي البارزاني والطالباني يمثّلان حالة هي أبعد ما تكون عن «حزب العمال الكردستاني» الساعي إلى قيام «دولة كردية» يشكل الجنوب التركي عمقها الأساسي. ثم شملت الضمانات الأخرى شقّين، أوّلهما عسكري يعطي لأنقرة الحق في تطبيق رقابة صارمة على تسلّح الإقليم، واقتصادي يعطي لهذي الأخيرة الحقّ في حصولها على النفط بأسعار مغرية، وهنا تبدّى أن «العقبة» التركية ماضية نحو التفكك والانحلال، وصولاً إلى زوالها، الأمر الذي حدث فعلاً بعد تلك المشاورات.

هنا يمكن الجزم بأن الأكراد نظروا إلى واقع المنطقة العربية على أنه أبل إلى مزيد من الانحدار، الفعل الذي يجب أن يغري «الحالمين» للاستثمار فيه. والشاهد هو أنهم مضوا نحو استنساخ التجربة العراقية في الجزيرة السورية في شهر آذار 2004. وإذ لم تكن الظروف ناضجة آنذاك لتمدّد اللهب، فإنها أضحت كذلك، وفق تلك النظرة، في الشهر نفسه بعد سبعة أعوام، حيث سيمثّل ركوب الكرد لموجة «التحالف الدولي لمحاربة داعش»، بدءاً من العام 2014 فصاعداً، «خنجراً» بطبعة سورية شبيهاً بذاك الذي استخدم في العراق قبل نحو عقدين.

* كاتب سوري

على الغلاف

اكثر من شهر ونصف شهر مرّ على القرار الاميركي المتعلّق بتعليق جزئي للعقوبات المفروضة على دمشق. إلّا انه، إلى الآن، لم تستفد سوريا بشكل فعلي من مفاعيل هذا القرار الذي يصرّ الكثيرون على انه لم يكن اكثر من مراوغة إعلامية اميركية. ومع ذلك، فقد سُجّلت عدّة محاولات سورية حكومية، وإنْ ظلّت محدودة، لاختبار مصداقيّة نوايا واشنطن. لم تتّضح اي نتائج طيّبة لها حتى اليوم

اختبارات حكومية لـ«الاستثناءات»

50 يوماً على الخديعة: أميركا لم تخفّف الحصار

زياد غصن

مع نهاية شهر آذار، يكون قد مرّ حوالي 50 يوماً على صدور القرار الأميركي المتضمّن تعليقاً جزئياً ومؤقّتاً للعقوبات المفروضة على دمشق، وذلك على خلفية الزلزال المدمّر الذي ضرب تركيا وسوريا في شباط الماضي. وتالياً، فإن الفترة المتبقّية من مدّة سريان ذلك التعليق تبلغ حوالي 130 يوماً. وهذا يطرح جملة تساؤلات في اتّجاهين: الأوّل يتمحور حول الفائدة المتحقّقة فعلاً للسوريين من القرار المذكور، ولا سيما في ملفّ مساعدات الإغاثة والاستجابة الدائمة لِما خلّفه الزلزال من أضرار مباشرة وغير مباشرة، والثاني يرتبط بالإجراءات الحكومية السورية للاستفادة من الخطوة الأميركية، والتي هي في نهاية المطاف، بحسب رأي دمشق، لا تلبّي مطلبها الأساسي المتمثّل في رفع العقوبات كاملة، ومن دون قيد أو شرط.

لا أثر فعلياً

منذ اللحظات الأولى لصدور القرار الأميركي، اتّفقت غالبية الآراء ووجهات النظر، الرسمية وغير الرسمية، على أن الغاية من إصداره إعلامية لا أكثر، ولا سيما أن تصريحات المسؤولين الأميركيين خلال الأيام الأولى التي أعقبت وقوع الزلزال، كانت تنفي أصلاً أن يكون للعقوبات المفروضة على سوريا أيّ أثر على الجوانب الإنسانية ومجالات الإغاثة. كما أن مرور كلّ تلك الفترة من دون أن يلمس السوريون أيّ أثر حقيقي على حياتهم، يثبت نظرية الأبعاد الإعلامية الصرفة للخطوة الأميركية، التي هي إلى الآن بحسب الباحث الاقتصادي، فادي عياش، «بلا تأثير واقعي». ويرى عياش، في حديثه إلى «الأخبار»، أن الإدارة الأميركية «وجدت نفسها محرَجة أمام كسر العقوبات من قِبَل عدّة دول كالجزائر، العراق، الأردن والإمارات، ثمّ بعض الدول الأوروبية. ولذا، كان عليها إمّا أن تعاقب جميع الدول التي كسرت عقوباتها، أو غضّ الطرف عمّا حدث والإعلان أن المساعدات الإنسانية ليست ضمن مجالات العقوبات المفروضة، وهو ما حصل فعلياً».

كل التجارب السابقة تؤكد أن واشنطن لم ترفع، لا جزئياً ولا كلياً، أيّ عقوبات فرضتها على عواصم أخرى (أ ف ب)

وفي ما يتعلّق بالتحويلات المالية، فإن الإجراءات الأميركية، بحسب عياش، «لم تتسبّب بأيّ تغيير على أرض الواقع، إذ لا يزال المصرف المركزي السوري يرفض التعامل مع أيّ مصرف أو مؤسسة مالية تتعامل مع الكيانات والأفراد المدرَجين على لوائح العقوبات، وهو ما يعني أن الأمر لم يتغيّر عملياً». ويشير إلى أن «الشركات الأجنبية لا تزال تخشى التعامل مع سوريا، وهي لن تغامر بالدخول إلى السوق السورية إلّا بعد أن تتأكّد من أن الأمور قد عادت إلى طبيعتها بشكل كامل، وأن العقوبات قد رُفعت بالكامل عن سوريا، وهو ما لم يحدث حتى الآن».

اختبارات حكومية

في المقابل، يرى الباحث الاقتصادي أن الحكومة السورية «لم تكن جادّة في استغلال الفرصة التي أتاحها القرار الأميركي، وهو ما يظهر من خلال الإجراءات التي اتّخذتها، والتي لا ترقى إلى مستوى الحدث». ويشير إلى أن «الحكومة أعلنت عن إجراءات تسهيلية لعمل المنظمات الدولية والأممية، لكنها لم تُقدِم على أيّ خطوة عملية في هذا الاتجاه، كما أنها لم تُعلن عن أيّ إجراءات تسهيلية للتحويلات المالية، سواء من الخارج أو إليه، وهو ما كان يُفترض أن يحدث بشكل فوري». ويلفت إلى أن «الحكومة لم تُعلن حتى الآن عن أيّ إجراءات تسهيلية للاستيراد، وهو ما كان يُفترض أن يحدث بشكل فوري أيضاً، وذلك لتخفيف الضغط على الليرة السورية، ولتأكيد أن الأميركيين جادّون في قرارهم، وأن هناك فعلاً تغييراً في السياسة الأميركية».

اختبارات حكومية

وفي ما يتعلّق بالإجراءات الحكومية المتّخذة، يشير عياش إلى أن «الحكومة أعلنت عن إجراءات تسهيلية للاستيراد، لكن هذه الإجراءات لم تكن جادّة، وهي لا تعدو كونها إجراءات شكلية، ولا تتناسب مع حجم الكارثة التي حلّت بالبلاد، ولا مع حجم الدمار الذي خلّفه الزلزال». ويلفت إلى أن «الحكومة لم تُعلن حتى الآن عن أيّ إجراءات تسهيلية للتحويلات المالية، سواء من الخارج أو إليه، وهو ما كان يُفترض أن يحدث بشكل فوري أيضاً، وذلك لتخفيف الضغط على الليرة السورية، ولتأكيد أن الأميركيين جادّون في قرارهم، وأن هناك فعلاً تغييراً في السياسة الأميركية».

اختبارات حكومية

وفي ما يتعلّق بالإجراءات الحكومية المتّخذة، يشير عياش إلى أن «الحكومة أعلنت عن إجراءات تسهيلية للاستيراد، لكن هذه الإجراءات لم تكن جادّة، وهي لا تعدو كونها إجراءات شكلية، ولا تتناسب مع حجم الكارثة التي حلّت بالبلاد، ولا مع حجم الدمار الذي خلّفه الزلزال». ويلفت إلى أن «الحكومة لم تُعلن حتى الآن عن أيّ إجراءات تسهيلية للتحويلات المالية، سواء من الخارج أو إليه، وهو ما كان يُفترض أن يحدث بشكل فوري أيضاً، وذلك لتخفيف الضغط على الليرة السورية، ولتأكيد أن الأميركيين جادّون في قرارهم، وأن هناك فعلاً تغييراً في السياسة الأميركية».

تقرير

«ميليشيا بن غفير» على طريق الولادة: الفلسطينيون هدفاً جامعاً

يُطرح مشروع «الحرس القومي»، غداة الاحد، على طاولة الحكومة الإسرائيلية، تمهيداً لإقراره في إطار المقايضة التي تمّت بين بنيامين نتنياهو وإيتمار بن غفير، والتي وافق بموجبها الأوّل على تشكيل هذه القوّة، مقابل قبول الأخير بتعليق مسار «الإصلاحات القضائية». وإذ يحتدم الجدل في إسرائيل حول حدود صلاحيات «الحرس»، والغاية من تشكيله، وما إذا كان بن غفير سيستخدمه ضدّ خصومه السياسيين، فإن حفلة المساومات الجارية في الكيان تؤكّد مجدّداً أن الشقاق الحاصل على شكل «الدولة» وهويّتها، إنما يستريح تماماً عندما يصل إلى سقف الإجماع الصهيوني، والذي يكاد يكون الدم الفلسطيني عنواناً وحيداً له

بيروت حمود

سجّل وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، «إنجازاً جديداً» عندما انتزع من رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، التزاماً خطّياً بإنشاء «الحرس القومي»، مقابل موافقته على تأجيل «الانقلاب القضائي». بحسب «القناة الـ12» الإسرائيلية، كان بن غفير «العامل الرئيس الذي صعّب على نتنياهو الخروج بهذا الإعلان، بعدما هدّد بحلّ الحكومة»، غير أن الالتزام المذكور، إضافة إلى وعد بتلقّي مكتب بن غفير ميزانيات إضافية، أدّيا إلى «حلّ الأزمة». غير أن هذه المقايضة تثير، وفق القناة نفسها، «تساؤلات حول حقيقة ما صرّح به نتنياهو إلى وسائل الإعلام الأميركية عند تشكيل الحكومة، من أنه سيقود الأخيرة مع وضع يديه الاثنتين على العجلة». إذ إن بن غفير أمسك بخناق الحكومة لساعات طويلة، ولوّح بتعطيل التصويت على الميزانية، على رغم أن زملاءه، بمن فيهم عرّاب «الانقلاب»، وزير القضاء ياريف ليفين، أعلنوا أنهم سيؤيّدون أيّ قرار يتّخذه رئيسهم؛ ولذا، فإن «اليد التي تقود عجلة الحكومة ليست هي يد نتنياهو».

وبمعزل عن الطريقة التي أخضع بها بن غفير نتنياهو، ليوافق الأخير على إنشاء «الحرس القومي» الذي سيوضع على طاولة النقاش يوم غدٍ الأحد في الجلسة الأسبوعية للحكومة، فإن حقيقة كون «الحرس» سيُخضع مباشرة لإمرة وزير «الأمن القومي»، شكّلت بحسب الإعلامي الإسرائيلي، يارون أبراهام، سبباً رئيساً من أسباب الأزمة المتفاقمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل؛ إذ إنها تعني، كما نقل أبراهام عن مسؤول أميركي رفيع، «إقامة شرطة خاصة بن غفير». على أن القرار لم يُثر غضب الإدارة الأميركية فقط، بل انضمّ إلى موجة رفضه أيضاً مفتّشون سابقون وحاليون وقادة في جهاز الشرطة، في مقدّمتهم المفوّض السابق، موشيه كرداي، الذي عدّ، في مقابلة سابقة مع «القناة الـ12»، «الحرس بن غفير مشروعاً خطيراً سيؤدي إلى تجنيد عناصر متطرّفين لخدمة جهاز أمني يسيطر عليه حزب سياسي، ولا يخضع للمفتش أو المفوّض العام أو الأجسام التراتبية الأخرى في هيكل مؤسّسة الشرطة». وتقاطع موقف كرداي مع رؤية ضباط في الشرطة وصفوا «الحرس» بأنه «ميليشيا ستتدخّل في عمل الشرطة في أوقات الطوارئ والأزمات والأحداث الحساسة، بينما هي تأخذ تعليماتها من شخصية سياسية».

إزاء ذلك، يحاول بن غفير طمأنة الإسرائيليين إلى أن نطاق عمل «الحرس القومي» سينحصر في «التعامل مع الهجمات الإرهابية أو الاحتجاجات» على غرار هبّة أيار، أي أنه سيكون «متخصّصاً» بفلسطينيّي الـ48. إلّا أن «الـ12» طرحت شكوكاً في ما إذا «كان بن غفير، بعد أن تُوافق الحكومة على مشروعه، سيتقبّل معارضة مهنية من قائد الشرطة يعكوف كوبي شبتاي، وقائد شرطة تل أبيب عامي أشاد، أم أنه سيوجّه قوّاته لقمع المتظاهرين الإسرائيليين». وفي الاتّجاه نفسه، كانت القناة قد احتملّت أن «يُستخدم الحرس القومي ضدّ خصوم سياسيين ولمصلحة مؤيّدين»، فيما أشارت صحيفة «ذي ماركر» الإسرائيلية إلى أن «وزارة الأمن القومي حصلت على زيادة في ميزانيتها بمبلغ 9 مليارات شيكل، ستُستخدم لصالح إقامة «الحرس القومي»، علماً أن هذه الزيادة هي لمرّة واحدة وليست دائمة - أي للسنة الحالية والمقبلة فقط -، وهي ليست في إطار ميزانية الدولة»، التي صادقت عليها الهيئة العامة لـ«الكنيست» بالقراءة الأولى خلال الأسبوع الجاري.

على أن المفارقة هي أن هناك «حرساً قومياً» قائماً بالفعل اليوم، أسّسه رئيس الوزراء السابق، نفتالي بينيت، قبيل استقالته من منصبه بأيام، وهو يخضع للشرطة مباشرة، ويقوده الكولونيل في الخبير في القانون والأمن القومي من المعهد الإسرائيلي للديموقراطية»، غميحاي كوهين، على ضرورة «إجراء تنظيم قانوني لإطار عمل الحرس»، منبّهاً إلى وجود «مسألتين من شأنهما إثارة إشكالية دستورية: الأولى تتعلّق بالصلاحيات التي ستُمنح لأفراد الحرس، فكلّما كانت الصلاحيات الشخصية والتنظيمية أوسع، حوّلت أصحابها إلى قوّة شرطة حقيقية موازية»؛ والثانية هي «التبعية»، أي «هل هذا إطار يخضع لإطار الشرطة الموجودة ولقواعدها ولطريقة إدارتها ولكلّ ما هو مقرون بذلك؟ قد يكون الحال عندها أقلّ إشكالية، ولكن إذا كان هذا الإطار منفصلاً بالمطلق، ويخضع مباشرة للوزير مع قدرات وصلاحيات، فإنه سيكون أكثر إشكالية». وينبّه كوهين إلى الفارق بين الشرطة والجيش، «فالأخير يعمل ضدّ أعداء الدولة، والمستوى السياسي ينبغي أن يسيطر عليه»، إلّا أنه لدى الحديث عن «قوّات شرطة لديها صلاحيات ضدّ مواطنين، تتعالى المخاوف من أيّ سياسي قد يستخدمها ضدّ خصومه السياسيين ولصالح مؤيديه».

ما هو معلوم، إلى الآن، أن «الحرس القومي» «سيستند إلى قوات نظامية وألوية تكتيكية، ستعمل في الفترات العادية في مكافحة الإرهاب وتعميق القدرة على الحكم والنظام العام من خلال استخدام وسائل تكنولوجية ومخابراتية، وكذلك من خلال التركيز على قدرات الانتقال إلى أحداث طارئة»، كما سيستند إلى «قوات احتياط ومتطوعين لمضاعفة القوة في مواجهة السيناريوهات المذكورة». وكان بن غفير اقترح «تشكيل لجنة برئاسة المدير العام لوزارته، وتضمّ مندوبين من وزارات أخرى والشرطة والجيش، تُقدّم توصياتها خلال 60 يوماً من أجل تشكيل "الحرس القومي"». وبينما لم يتطرّق بن غفير إلى ميزانية الميليشيا الخاصة به، كشفت صحيفة «هآرتس» أن هذه «الميزانية ستكون نصف مليار شيكل سنوياً، بحسب التقديرات»، مشيرةً إلى أن «هناك مفاوضات بين وزارة الأمن القومي ووزارة المالية، التي يتولّاها بتسلئيل سموتريتش، ومن الجائز أن تُقلّص ميزانيات وزارات أخرى لصالح ميزانية "الحرس القومي"».

وبعيداً من الجدل الداخلي الإسرائيلي، فإن مشروع «الحرس القومي»، شأنه شأن مشاريع أخرى أُعدّت لإخراج إسرائيل من أزماتها، سيأتي حتماً على حساب الفلسطينيين. وفي هذا الإطار، ترى عضو «الكنيست» سابقاً، والناشطة السياسية في حَراك «الحقيقة» ضدّ تفريط البطريرك اليوناني، ثيوفيلوس، بأملاك الكنيسة الأرثوذكسية لصالح المستوطنين، نيفين أبو رحمون، أنه لا يمكن تفسير هذا المشروع «إلّا بربطه بحقيقة أن إسرائيل بنت نفسها كمنظومة استعمارية، وأن القوى الشرطية هي القوى الأساسية التي تُعزّز تَعاملها القمعي مع الفلسطينيين». وتلفت أبو رحمون، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أنه «عندما عُيّن بن غفير في منصبه الجديد، أدخل تعديلات على الوزارة نفسها، أولاً على مستوى اسمها، وثانياً على مستوى صلاحياتها وخصوصاً في البلدة القديمة والمسجد الأقصى وتجاه فلسطينيّي الداخل»، مضيفة أن بن غفير «يريد عملياً تعزيز حضور الأمن الوطني ربطاً بالأمن القومي، بصفته الوصيّ الوحيد على هذا الملفّ».

(أ ف ب)

وتعتقد أنه «بغضّ النظر عن الضمانات الموجودة بعدم استخدام هذه القوّة ضدّ الإسرائيليين، فإن مجرّد المساومة على ذلك، تؤكد في نهاية المطاف أن الاحتجاجات التي اندلعت، والصراع على شكل الدولة وهويّتها، كلّ ذلك قد ينتهي بتوزيع الحصص الذي غالباً ما يأتي على حساب الفلسطينيين».

ومن هنا، تؤكد («آنّنا») كفلسطينيين لم نكن ننتظر ذلك لنعرف أن الحرس القومي هو أداة أخرى هدفها قمع تحرّكنا السياسي وتحرّكنا في الشارع، وخصوصاً أن هذا المشروع يأتي بموازاة تشريعات جديدة لتجريم العمل السياسي، انطلقت بالأساس من الدروس والمستخلَصة من هبّة أيار». وترى أبو رحمون أن «عنوان المرحلة المقبلة سيكون مواجهة الإرهاب، بتعبير بن غفير، بخلق حالة من الجمود الحكومي في التعاطي معه. وفي هذا المجال، يشير عياش إلى أن القرار لا يتضمّن ما هو جديد، «فهو لا ينصّ على أيّ إعفاء فعلي، وحتى صيغته تستثني النفط ومشتقّاته، وكذلك في ما يتعلّق بالتحويلات المالية. ولذا، فإنه لا يشكّل فرصة حقيقية من جهة؛ ومن جهة أخرى، نحن غير مؤهّلين لاستثمار أيّ ثغرات تعتريه، ولا سيما أن الأطراف الأخرى المعنيّة ليست جدّية في تجاوز الإجراءات الأميركية».

> لم تتلقَّ المؤسّسات الحكومية السورية، حتى اليوم، أيّ ردود إيجابية أو سلبية على كتبها

وسُجّلت، في خلال الفترة الماضية، خطوات حكومية محدودة، أبرزها ما أعلن عنه من اجتماعات خاصة أجراها المصرف المركزي مع ممثّلي المصارف المحلّية، لبحث الإجراءات المتوجّب إنجازها لإعادة تفعيل نظام «سويفت» العالمي للحوالات المالية، إلّا أنه، إلى الآن، لم يتمّ الإعلان عن نجاح تلك الجهود. كذلك، علمت «الأخبار» أن بعض الوزارات عملت على توجيه كتب ومخاطبات رسمية إلى جهات إقليمية ودولية بغية الاستفادة من بعض المستحقّات المالية المجمّدة منذ عام 2011 لشراء مواد غذائية وطبّية، أو الحصول على قروض من بعض المؤسّسات الدولية مقابل المساهمة السورية السنوية، بحيث تخصّص هذه القروض لمواجهة الأعباء الجديدة التي فرضتها كارثة الزلزال. غير أنه، بحسب المعلومات، لم تتلقَّ المؤسّسات الحكومية السورية، حتى اليوم، أيّ ردود إيجابية أو سلبية على كتبها، علماً أن بعضاً من هذه الأخيرة وُجّهت إلى مؤسّسات عربية، ولذا فإن مضمون الردّ عليها سيكون إشارة كاشفة ليس فقط عن طبيعة الهدف من القرار الأميركي، وإنّما أيضاً مدى جدّية الانفتاح العربي على دمشق، والتأثير الأميركي عليه.

> ما هو معلوم، إلى الآن، أن «الحرس القومي» «سيستند إلى قوات نظامية وألوية تكتيكية»

حصار كامل تسبّب بقتل مئات آلاف الأطفال والنساء، كما في حالة العراق الذي لا يزال شاهداً على ما تقدّم.

اختبار نوايا

على رغم الموقف المليء بالشكوك حيال الغاية الأساسية من إصدار القرار، والقناعة بحتمية الردّ السلبي على أيّ جهود سوف تُبذل للاستفادة منه، إلّا أنه برزت دعوات للحكومة، من قِبَل بعض المتخصّصين، إلى تشكيل فريق قانوني واقتصادي خبير يتولّى مهمّة دراسة «الاستثناءات» الأميركية، ووضع الاقتراحات التي يتوجّب على الحكومة العمل عليها خلال الفترة المحدّدة فيها، وذلك بغية الانتفاع ما أمكن منها، أو في أسوأ الأحوال تفنيد المزاعم الأميركية. لكن يبدو أن مضمون القرار نفسه، وآلية تنفيذه، وضعف الأداء الحكومي حياله، جميعها عوامل تسبّبت

الحدث

تتسارع وتتكثّف مساعي القوى الدولية المتنازعة، كلٌ في اتجاه، في سبيل توسيع «جبهة الاصدقاء» الداعمة لها. وبينما تحاول واشنطن إعادة بناء «ترسانة للديموقراطية تستطيع هزيمة محور الصين - روسيا - إيران»، تشتغل موسكو وبكين، اللتان تتّجه الشراكة الاستراتيجية بينهما إلى مستوى أعلى حتى في الجانب العسكري، من جهتهما على إدامة مسار تنويع الشراكات، وتتفاديان وضع بقية دول العالم، التي تملكان مع قسم عظيم منها كتل مصالح ضخمة، أمام تحدّي الاختيار بين معسكرين متقابلين

استنهاض رباعيّ الأبعاد بوجه موسكو وبكين

واشنطن ترمّم «ترسانة الديموقراطية»

وليد شرارة

تندرج القمّة الثانية للديموقراطية، والتي افتتحها الرئيس الأميركي، جو بايدن، يوم الأربعاء الماضي، بمشاركة 121 من قادة العالم، في إطار الجهود المحمومة التي تبذلها الإدارة لتوسيع جبهة حلفاء الولايات المتحدة في مواجهتها الاستراتيجية مع روسيا والصين. كشفت سلسلة من التطوّرات الهامة، منذ اندلاع الحرب الأوكرانية، وبينها مواقف معظم بلدان الجنوب منها، غير المنسجمة مع توجّهات واشنطن، وأيضاً تزايد الدور السياسي للصين، بعد ذلك الاقتصادي، في أكثر من منطقة حيوية في العالم، تحولاً بنيوياً في طبيعة العلاقات الدولية سمته الأساسية، وفقاً لعالم السياسة الفرنسي، برتران بادي، الانتقال من التحالفات الثابتة إلى «التقاطعات المتقلّبة». بطبيعة الحال، يرتبط مثل هذا التحوّل بتراجع الهيمنة الأميركية، وما يصاحبه من اتّساع لهامش المناورة لدى قسم كبير من دول الجنوب. تحاول واشنطن اليوم وقف التحوّل المشار إليه، والمبادرة إلى هجوم مضادّ لاستعادة موقعها الريادي عبر اعتماد مقاربة استقطابية، لا تختلف في العمق عن منطق «إمّا معنا وإمّا ضدنا» الذي تبنّاه بوش الابن، بين «انصار الديموقراطية» و«خصومها». هي توظّف النزاع مع روسيا في أوكرانيا لتعزيز سطوتها على حلفائها الأوروبيين؛ وترفع منسوب التوتّر مع الصين، حيث من بين أهدافها إجبار دول جوار الأخيرة على اختيار المعسكر الغربي. وعلى الرغم من أن المذعورين، في أوروبا وفي آسيا، من صعود دور اللاعبَين الروسي والصيني يهرعون إلى الوقوف صفّاً واحداً خلف واشنطن، فإن الولايات المتحدة تحتاج من جهتها إلى هؤلاء ليتحمّلوا معها الأعباء الباهظة للمجابهة مع اللاعبين المذكورين. ومن النافل قوله إن التعاون المتنامي بين موسكو وبكين في شتّى المجالات، بما فيها تلك العسكرية، قد ضاعف الحاجة إلى تقاسم أعباء هذه المجابهة.

لا مجال لمقارنة الشراكة الصينية - الروسية بحلف عسكري مندمج بقيادة أميركية كحلف «الناتو». لكن إعلان وزارة الدفاع الصينية «استعداد جيشها لتنفيذ مبادرات أمنية عالمية بالتعاون مع نظيره الروسي»، والذي يأتي بعد حديث رئيسَي البلدَين خلال لقائهما في موسكو عن ضرورة تطوير التعاون بينهما، يؤشّر إلى توجّه للارتقاء بالشراكة الاستراتيجية إلى مستوى أعلى. تحرص الدولتان على عدم تقديم الشراكة بينهما، وإنْ شهدت تعزيزاً نوعياً في أكثر من مضمار، على أنها حلف موجّه ضدّ «الناتو»، لأنهما لا تريدان وضع بقيّة دول العالم، التي تملك مع قسم عظيم منها كتل مصالح ضخمة، أمام تحدّي الاختيار بين معسكرين متقابلين. موسكو وبكين تدركان أن دولاً كتركيا وباكستان وتلك الخليجية، إضافة إلى بلدان أفريقيا وأميركا اللاتينية، تفضّل تنويع الشراكات على البقاء أسرى لعلاقات حصرية مع قوّة مهيمنة. الظروف الدولية الراهنة باتت ملائمة لتحقيق تطلّع قديم لدى بلدان الجنوب، وهو عدم الانحياز في سياستها الخارجية، وإقامة العلاقات على قاعدة المصالح المشتركة مع جميع القوى الدولية الأخرى. لم تسمح موازين القوى في الماضي بالوصول إلى الهدف المذكور، لكن الموازين السائدة حالياً قد تتيح مثل هذا الأمر. لموسكو وبكين مصلحة في استمرار ذلك الاتّجاه في العلاقات الدولية على عكس واشنطن.

الأخيرة تريد، وفقاً لآرثر هيرمان، الزميل الرئيس في «معهد هدسون»، إعادة بناء «ترسانة للديموقراطية تستطيع هزيمة محور الصين - روسيا - إيران»، وهو عنوان مقاله في «ذي ناشيونال انترست». مفهوم «ترسانة الديموقراطية»، الذي لجأ إليه هيرمان، كان قد استُخدم خلال المحور آنذاك، ما يدعو إليه الباحث، بعد إقراره بتراجع القدرات الصناعية العسكرية الأميركية وعجزها عن تلبية احتياجات «العالم الحرّ»، ناهيك عن احتياجات الولايات المتحدة وحدها في حال اندلاع نزاع بينها وبين الصين حول تايوان، هو «شراكة مع بقيّة الديموقراطيات عبر العالم لتنمية وتطوير ترسانات التكنولوجيا المتطوّرة، الراهنة والمستقبلية، لاستعمالها دفاعاً عن الحرية».

الذكاء الاصطناعي هو أول الميادين الأساسية للتعاون بين الديموقراطيات بنظر هيرمان، حيث يمكن لبلاده توحيد جهودها مع اليابان وكوريا الجنوبية وكندا، إضافة إلى فرنسا وألمانيا، وهي دول حقّقت جميعها تقدّماً فعلياً في هذا المضمار. ميدان ثان هو الأسلحة الفرط صوتية، حيث لا بدّ من العمل مع الهند وأستراليا وفرنسا وألمانيا والميدان الثالث هو أسلحة الطاقة الموجّهة - وفي المقدّمة منها أسلحة الليزر -، وللهند واليابان قدرات متنامية فيه. الميدان الرابع هو تكنولوجيا الفضاء، حيث للولايات المتحدة وبقيّة الديموقراطيات قدرات صناعية تسمح بتفوّقها على أعدائها. بكلام آخر، لا تستطيع الولايات المتحدة وحدها خوض غمار المنافسة التكنولوجية مع الصين أساساً، والانتصار فيها، سوى من خلال نوع من الشراكة الاندماجية مع تكتّل يتجاوز الدول الأعضاء في الحلف الأطلسي، ليضمّ دولاً أخرى كالهند واليابان وكوريا الجنوبية. سياسة التوتير مع الصين، وصولاً ربّما إلى حافّة الحرب، هي السبيل الأقصر لاستتباع تلك الدول، ومحاولة وقف التراجع الأميركي قدر المستطاع.

> **لا تستطيع الولايات المتحدة وحدها خوض غمار المنافسة التكنولوجية مع الصين أساساً، والانتصار فيها، سوى من خلال نوع من الشراكة الاندماجية مع تكتّل يتجاوز الدول الأعضاء في الحلف الأطلسي**

الحرب العالمية الثانية من قبل الرئيس الأميركي، فرانكلين روزفلت، للإشارة إلى تخصيص البنية التحتية الصناعية في الولايات المتحدة للإنتاج العسكري دفاعاً عن «الديموقراطية» في مواجهة دول

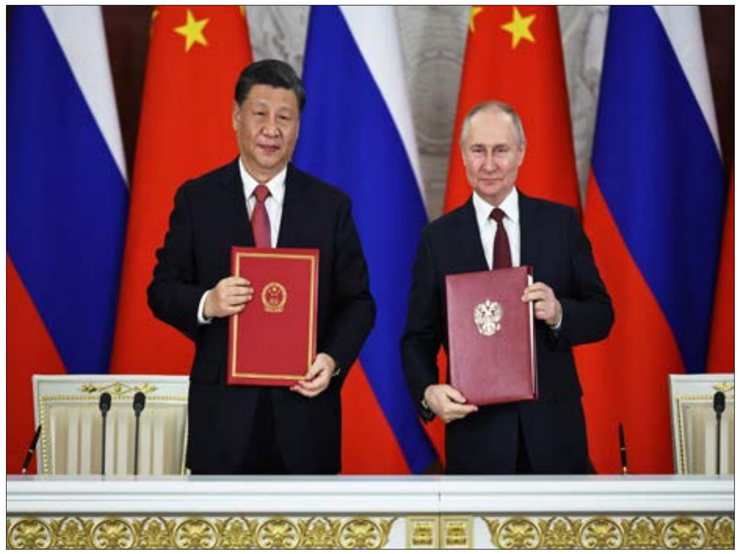

(أ ف ب)

روسيا تحدّث سياستها الخارجية: أميركا أكبر تهديد للعالم

أماطت موسكو اللثام عن وثيقة «المفهوم الجديد للسياسة الخارجية الروسية»، والتي تعكس «التطوّرات الثورية التي يعيشها العالم اليوم»، وفق ما أعلن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف. ووقّع الرئيس فلاديمير بوتين، أمس، خلال اجتماع مع الأعضاء الدائمين في «مجلس الأمن الروسي»، مرسوماً يتعلّق بالوثيقة الجديدة، موضحاً أن «التغيرات الجذرية في الحياة الدولية، تطلّبت منا أن نعدّل بجدّية وثائق التخطيط الاستراتيجي الرئيسة، ومن بينها مفهوم السياسة الخارجية لروسيا، والذي يحدّد مبادئ ومهام وأولويات النشاط الدبلوماسي». وتأتي الوثيقة، بحلّتها الجديدة، بعد تعديلات طلبها الرئيس الروسي، تم قدّمت للمناقشة مع الأعضاء الدائمين في «مجلس الأمن الروسي» في كانون الثاني 2022، بينما كان الإصدار السابق لمفهوم السياسة الخارجية الروسية قد صدر في تشرين الثاني 2016.

من جهته، بيّن وزير الخارجية، سيرغي لافروف، أن «مفهوم السياسة الخارجية الجديدة لروسيا، يعكس واقعاً سياسياً جديداً، ومتغيّرات جيوسياسية، وتطوّرات ثورية في العالم، تسارعت بشكل ملحوظ مع بدء العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا». وأشار لافروف إلى رصد مستوى غير مسبوق من «التوتّر الدولي» على مدى العقد الماضي، منبّهاً إلى أن «هذا المستوى يُعتبر عامة ينتهج سياسة تهدف إلى إضعاف روسيا من جميع النواحي، في ما يمكن اعتباره حرباً هجينة من نوع جديد». وتابع أن المفهوم الجديد ينصّ على «إمكانية اتّخاذ إجراءات مماثلة، أو غير مماثلة، ردّاً على الإجراءات غير الودّية ضدّ روسيا»، وعلى أن «مبدأ الارتباط الأمني متاح استثناءً للندّية»، في ظلّ ظروف التهديدات الخارجية.

> **أكدت الوثيقة أن روسيا ستعمل على القضاء على هيمنة الولايات المتحدة**

وفي هذا السياق، جاء في الوثيقة الجديدة أن «روسيا تهتمّ على نحو خاصّ بتعزيز العلاقات والتنسيق بشكل شامل مع مراكز القوّة العالمية الصديقة: الصين والهند»، وأن «المشروع الرائد بالنسبة لروسيا في القرن الحادي والعشرين هو تحويل أوراسيا إلى مساحة متكاملة يعمّها السلام والاستقرار والازدهار». أما عن التهديدات التي تواجهها، فأكّدت أن «روسيا ستستخدم الجيش لصدّ ومنع أيّ هجوم مسلّح ضدّها أو ضدّ أيّ من حلفائها». كذلك، أشارت الوثيقة إلى أن «مخاطر الصدام تتنامى بين الدول الكبرى بما فيها الدول النووية»، لكن «روسيا تسعى لعدم خلق ظروف تؤدّي إلى استخدام أسلحة نووية أو أسلحة دمار شامل»، محذّرةً من أن «احتمال الانتقال إلى حرب كبرى يزداد»، في الوقت نفسه الذي قالت فيه إن «موسكو مهتمّة بضمان التوازن الاستراتيجي والتعايش السلمي مع الولايات المتحدة».

وبخصوص العداء المتزايد في العالم لروسيا، شدّدت الوثيقة الجديدة على أن مكافحة «الروسوفوبيا» (رهاب الروس)، في مختلف المجالات، تُعدّ من «أولويات السياسة الإنسانية لروسيا في الخارج». وفي مؤشّر إضافي إلى مدى تردّي العلاقات الروسية - الأميركية، أكدت الوثيقة، بكل وضوح، أن «القضاء على أساسيات الهيمنة من جانب الولايات المتحدة والدول الأخرى غير الصديقة في الشؤون الدولية سيكون إحدى أولويات روسيا». وفي المقابل، ستسعى الأخيرة «جاهدة إلى تشكيل نظام عالمي يوفّر أمناً موثوقاً به، ويضمن تكافؤ الفرص بالنسبة للجميع»، كما «ستسعى جاهدة لتحقيق الأمن المتساوي لجميع الدول على أساس مبدأ المعاملة بالمثل».

أمّا بشأن تطورات الوضع في شرق آسيا، فقد جدّدت رفض روسيا «خطوط التقسيم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ»، وتحدّثت عن «إعادة هيكلة» جادّة للاقتصاد العالمي، في وقت يبدو أن الخلاف الروسي - الغربي قد وصل إلى حدّ المواجهة الشاملة.

(الأخبار)

(أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4282

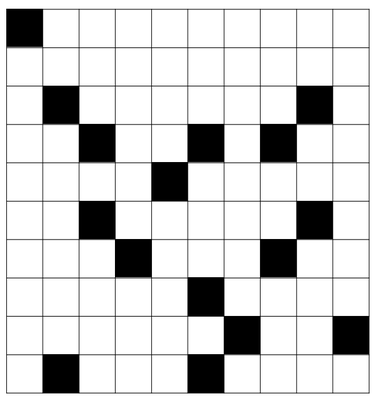

أفقيا

1- واضع دستور استقلال لبنان بالتعاون مع بترو طراد وعمر الداعوق – 2- ممثل سوري – 3- يفحصه – 4- نوتة موسيقية – ضمير منفصل – إحسان – 5- خبيث ماكر وشرير – بلدة لبنانية في قضاء راشيا – 6- الواحدة من الغنم للذكر والأنثى – للتعريف – 7- قضاء – أرض يُزرع فيها – رف من الطيور – 8- لواء – بلدة لبنانية في قضاء الشوف – 9- للإستفهام – المرأة التي لا تلد – 10- مدينة لبنانية – أحرف متشابهة

عمودياً

1- بلدة لبنانية في قضاء زحلة – 2- بحر – للتأفف – يعطي من دون مقابل – 3- من المنبهات – حرف بالأجنبية – يأتي بعد – 4- سد لبناني – 5- أكلت – تحرث الأرض – 6- نزع السروال عنه بالعامية – من الأشجار – 7- خوذة – اشرب الماء بدون تنفس – 8- سخنه – وهمّ أو مظهر مغر وخادع – 9- متشابهان – طيور تعيش في القطب الشمالي – 10- من أنهار لبنان

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- زمزم – الشام – 2- وايلد – مارس – 3- ركـ – شجن – عكا – 4- يملّ – أساريـ – 5- خانَ الخليلي – 6- هفوة – 7- غوبلزّ – ون – 8- انس – بدا – عقّ – 9- الو – جواد – 10- انطون سعادة

عمودياً

1- زوريخ – غانا – 2- ماكماهون – 3- زيّ – لنـ – بساط – 4- ملش – أمل – لو – 5- دجّال – زبون – 6- نسخه – 7- لم – الفواجع – 8- شاعريّون – وا – 9- أركيلة – عاد – 10- مساري – عقدة

sudoku 4282

	6				4			
7	9			1			2	
			9				1	5
5			3				7	
1	7			2				9
	8				6	1	5	
	3	4	5		8		6	
9				4			3	7
6				3			4	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4281

8	7	5	2	1	4	9	3	6
9	6	1	8	3	7	4	2	5
4	3	2	9	5	6	1	7	8
1	4	6	3	2	8	7	5	9
5	9	7	6	4	1	2	8	3
2	8	3	5	7	9	6	1	4
3	2	4	7	6	5	8	9	1
6	5	8	1	9	2	3	4	7
7	1	9	4	8	3	5	6	2

مشاهير 4282

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

سياسي مصري (1934- 2010)، إنتخب نائباً لأول مرة عام 1964 وظلّ في منصبه حتى وفاته

3+4+2+6+1 = العاهل ■ 8+9+10+5+4 = إهانة وتحقير ■ 7+5+11 = من المنبهات

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: تشارلز ديكنز

البلاد

رمضان فلسطين: صلة للأرض بالسماء

موسى جرادات

مع قدوم شهر رمضان، تعيش مدن الضفة الغربية وأريافها ومخيماتها، أجواء غير مسبوقة عمّا شهدتها الأعوام الماضية. فقد سبقت هذا الشهر تحذيراتٌ أمنية متصاعدة بأن شهر الصيام سيشهد تصاعداً في العمل العسكري المقاوم ضد قوات الاحتلال. ولـذا، تـداعـت الـقـوى الـدولـيـة والإقـلـيـمـيـة إلـى جـمـع الـطـرفـيـن، الأمـر الـذي يـراه متابعون للشأن الفلسطيني محاولة من السلطة لإيجاد تبرير لفعلها الأمني.

ومع دخول شهر رمضان أسبوعه الأول، يظهر جلياً ازدياد الغارات الاحتلالية اليومية، التي تركّزت في مدن ومخيمات شمال الضفة الغربية المحتلة، حيث تقوم قوات الاحتلال مع ساعات الفجر الأولى باقتحام تلك المناطق، وتنفيذ عمليات اعتقال لمن تسمّيهم مطلوبين لديها، وغالباً ما تواجه تلك الاقتحامات بمقاومة مسلحة، تتفاوت حدّتها من منطقة إلى أخرى، مع تنفيذ عمليات اعتقال كثيفة.

لرمضان طقوس وشعائر وعادات وتقاليد في كل بلاد المسلمين والعالم، لكن لفلسطين خصوصيّتها؛ فهي التي تحت الاحتلال، وهي التي تحمل عبء المقاومة منذ عقود طويلة

اسواف بلا متسوّقين

كثيراً ما يملأ عشرات الآلاف من فلسطينيّي الداخل وفلسطينيّي القدس، شوارع المدن الفلسطينيّة في الضفة الغربية طوال العام، ويزداد حضورهم في شهر رمضان، لكن هذه السنة، ونتيجة الحصار المضروب على الضفة الغربية، لم يتمكن أهل الداخل المحتل من التسوق داخل أسواق الضفة الغربية، ولا سيما في شمالها، الأمر الذي انعكس على أجواء تلك الأسواق، وحركتها الاقتصادية، فيما التداعيات التي يفرضها الحصار على تلك المناطق آخذة في التوسع، لتشمل شرائح اجتماعية جديدة بطالها هذا الحصار. ويوضح الناشط الاجتماعي من نابلس منتصر عرايشي، لـ«الأخبار»، الأوضاع في مدينته: «إنها خليط ما بين الشعور بالفخر، نتيجة تصاعد وتائيرات عمل المقاومة، وفي الوقت نفسه هناك الصعوبات الاقتصادية الملموسة والمؤثرة على حياة المواطنين». ويبيّن عرايشي كيف ينعكس الحصار ويؤثر على حياة الناس في أيام الشهر الفضيل: «الحصار ليس فقط على حدود الضفة، إنه حصار لكل منطقة، فنابلس معزولة اليوم عن أريافها، عشرات الحواجز العسكرية تقطع أوصالها»، والهدف «رسالة الاحتلال للكل الفلسطيني، أن هناك ثمناً ملموساً على الصعيد المعيشي، كلما كان الفعل المقاوم حاضراً». لكنه تكلم بلسان حال الناس، فسخر من هذه المعادلة، موضحاً أنه «كي تعيش، عليك أن تخضع لكل شروط المحتل، وهي في المحصلة النهائية موت معلن». أمام كل هذه الأوضاع الصعبة، يؤكد عرايشي أن أهالي نابلس، على سبيل المثال، لم يخضعوا، فانطلقت عدة حملات تطوعية، للمساعدة في التخفيف عن كاهل الفقراء، عبر إرسال السلل الغذائية والوجبات إلى العائلات المحتاجة، التي تقوم بها التكيات والمبادرات الفردية، المموّلة من قبل التجار ورؤوس الأموال في المدينة.

(أ ف ب)

التكية... تجربة فلسطينية في رمضان

بدأت مدينة الخليل منذ مئات السنين تجربة التكية، حيث يقوم مطبخ، بشكل يومي، على مدار السنة، بتوزيع آلاف الوجبات الغذائية، على فقراء المدينة، وقد حملت الخليل لقب «المدينة التي لا ينام فيها جائع»، لكن هذه التجربة بقيت محصورة في مدينة الخليل، ولم تصل إلى عموم المدن الفلسطينية إلا في السنوات الأخيرة. في المخيمات مثلاً، تأسّست عدة تكيات، منها تكيّة «نيسان» التي تأسست في مخيم جنين منذ ثلاث سنوات، وتعمل عادة في شهر رمضان. يشرح عنها لـ«الأخبار» الناشط المجتمعي سامر الغالب، من جنين: «التكية، خلاصة العمل الإغاثي السابق، يتركز عملها اليوم ضمن مجموعة تطوعية واحدة، تهدف إلى إيصال المساعدات العينية والغذائية إلى كل الفقراء، بعيداً عن التجارب السابقة، والمجموعة الطوعية، هي الوسيط بين تجار وأغنياء المحافظة والمساهمين الصغار فيها، وبين المحتاجين إلى تلك المساعدة». تكية «نيسان» التي سمّيت كذلك تيمّناً بالشهر الذي شهد معركة المخيم الشهيرة عام 2002، تقدّم اليوم نحو 1250 وجبة إفطار، عن أرواح الشهداء وإكراماً لهم، ولا سيما أن المخيم وجنين عموماً يشهدان أوضاعاً صعبة، ولا سيما باستشهاد وجرح العشرات، فضلاً عن المطاردين والمعتقلين، وقوائم المنع الأمني التي تطال أقارب المطاردين والشهداء من الدرجة الأولى والثانية، والتي أثّرت كثيراً على معيشة العائلات. ويوضح سامر الغالب أن هذه الأوضاع فرضت إبقاءها على طريقة عمل التكية لناحية «المهنية في العمل، والابتعاد عن كل مقياس حزبي أو تنظيمي، الأمر الذي جعل من التكية محط إجماع، ولحظة نجاح في الوقت نفسه».

صحيح أن لرمضان طقوساً وشعائر وعادات وتقاليد في كل بلاد المسلمين والعالم، لكنّ لفلسطين خصوصيتها؛ فهي التي تحت الاحتلال، وهي التي تحمل عبء المقاومة منذ عقود طويلة، وهي التي تنوء بأبنائها، دفاعاً عن القبلة الأولى للمسلمين وعن ثالث الحرمين الشريفين. لهذا نرى تلك الاندفاعة الرمضانية، نحو زيارة الأقصى الذي تحوّل إلى عقيدة وهوية وطنية جامعة، فلا ينتهي الشهر حتى يزوره معظم الشعب الفلسطيني من الضفة ومناطق 48، سواء من أمام الحواجز العسكرية أو من خلفها، فلا فرق، طالما أن الزيارة مقدّسة وواجبة في شهر رمضان، وذلك حتى تكتمل رسالة الوطن مع رسالة السماء.

واصل حميدة

روائح الطعام المصنوع بحب، أصوات قادمة من بيوت دافئة، تسابق الزمن في إعداد الفطور، وأناشيد دينية تملأ الشوارع، تعبّر عن الابتهال بالشهر الكريم «رمضان تجلى وابتسم طوبى للعبد إذا ابتذل»، أطفال وشبان في مقتبل العمر يقفون في الحارات، يعدّون الدقائق لرفع الأذان من مآذن جوامع المخيم، ليعلنوا على طريقتهم انتهاء يوم آخر من رمضان، بإشعال ما جمعوه من الألعاب النارية خلال ساعات النهار، الأمر الذي يتصاحب مع لوم وتوبيخ من شيوخ ومسنين في المخيم. وغالباً ما كانت تبدأ تلك المناقشات بـ«وفروا فتيشكون لليهود يا عمي...» لتنتهي بـ«الله يهديكون...».

هكذا كان مخيم اليرموك قبل نحو عقد، خلال أيام الشهر الفضيل، منذ يومه الأول وحتى رفع تكبيرات العيد، يعيش حالة أشبه بـ«عرس رمضان». فمنذ اليوم الأول تمتلئ شوارعه ببائعين، اعتاد أهل المخيم على رؤيتهم في كل موسم رمضاني، يشغلون زوايا المخيم، ويرفعون أصواتهم التي تنادي على الصائمين لشراء ما لذ وطاب «طفي عطشك يا صايم... قرب قرب»، «فطور الصايم يا معروك»، «عصافيري يا قطايف»، «أكلة الملوك يا ناعم»، وكل بائع يغني على بضاعته. فيما تدخل محال الحلويات في سباق مع الزمن لإنتاج الحلويات، التي اعتاد أهالي المخيم على طلبها لتزيين موائدهم الرمضانية. ومساءً بعد الإفطار، كان المخيم يتحوّل بشوارعه الرئيسية وحاراته، إلى مركز تجاري ضخم، يقصده سكان العاصمة السورية، لشراء احتياجاتهم من تجهيزات للعيد، وبأسعار منافسة لأكبر الأسواق الدمشقية.

باي حال عدت يا رمضان

تبدل حال المخيم، أصبح الدمار، هو الثيمة الأساسية التي تسرق نظر أي زائر له بعد الحرب التي شهدها، فالمخيم اليوم تسكنه قلة من العائلات التي عملت على ترميم منازلها، بأبسط الإمكانيات، وبعضها سكنت من دون أن ترمم، بعدما أنهكتها أسعار الإيجارات.

لم يعد شهر رمضان في المخيم، كما كان، تغيب عنه هذه الأيام تلك الطقوس الرمضانية التي عهدها، فليس سهلاً التقاط روائح الطعام وأصوات الأناشيد والباعة، والأسواق التي كانت في العشر الأخيرة من رمضان لا تغلق أبوابها، اليوم خاوية تماماً. فلا أحد في المخيم سوى بعض المارة، الذين تبدو في وجوههم آثار التعب.

عند مدخل شارع لوبية الشهير، الذي كان يوماً، أحد أهم أسواق العاصمة السورية، يتجمع بعض أهالي المخيم يومياً، في رمضان، للحصول على وجبة إفطار تقدمها لجنة العمل الخيري في حركة الجهاد الإسلامي للعوائل التي تقطن اليرموك. يقول مسؤول اللجنة موسى خال: «بدأنا في ثالث أيام شهر رمضان، بمشروع توزيع وجبات إفطار صائم في مخيم اليرموك، الذي يستهدف جميع سكان المخيم، البالغ عددهم 1600 عائلة، نعد ثماني أصناف طعام يومياً، بمشاركة 50 متطوعاً يعملون بلا توقف على مدار الـ 24 ساعة لتأمين الوجبات».

بين خالد أن توزيع الوجبات يبدأ يومياً عند الساعة الثانية ظهراً وينتهي الساعة السادسة مساء، لتخديم جميع سكان مخيم اليرموك. ويشير إلى استمرار المشروع حتى آخر يوم في رمضان، «مشروع إفطار صائم، ينفذ للسنة الثانية على التوالي في مخيم اليرموك، ففي رمضان الماضي، كان عدد عائلات مخيم اليرموك 800 عائلة، واستهدفوا جميعهم بشكل يومي، عبر تقديم اللجنة وجبات تكفي عائلة كاملة». ويوضح خالد لـ«الأخبار» أن المشروع هذا العام يؤمن «1600 وجبة عائلية، توزع على الأهالي ضمن فترات معينة. وتم تنظيم الأمور هذه السنة، بالاعتماد على آلية جديدة تم استحداثها، وهي عبارة عن بطاقة (بار كود)، وزعناها على العائلات، لتنظيم وتسهيل العمل. يأتي المستفيد ومعه بطاقته، ليتسلم حصة العائلة، ضمن الفترة المحددة له خلال النهار».

ينوه خالد إلى أن لجنة العمل الخيري في «الجهاد الإسلامي» تعمل هذه الأيام، على إعداد دراسة، لاستمرار المطبخ بتقديم الوجبات بعد انتهاء شهر رمضان، لكن بشكل غير يومي (يوم أو يومين في الأسبوع) في المرحلة الأولى وفق الإمكانيات المتاحة، ويضيف أن مشروع تقديم الوجبات، هو أحد المشاريع التي تنفذها اللجنة داخل مخيم اليرموك، يضاف إليها مشروع توزيع «كراتين» الأغذية للعائلات وتنظيف الشوارع والحارات وتركيب نقاط الإنارة الضوئية ضمن المخيم، وغيرها من المشاريع التي تساعد القاطنين في المخيم في ظل الظروف الصعبة التي يعيشونها.

«كان المخيم جنة»

بهذه العبارة، وصفت الحاجة فاطمة حالة مخيم اليرموك في رمضان قبل وصول الحرب إليه، تضيف «كان مثل خلية النحل، تجد الناس قبل الإفطار، ينتشرون في أسواق بيع الخضروات، وأمام محال الحلويات والعصائر، وبعد الإفطار وأداء صلاة التراويح، لا تجد موطئ قدم في أسواق شوارع اليرموك ولوبية وصفد من شدة الازدحام».

الحاجة فاطمة التي تسكن بيتها المدمر في المخيم، كانت تسير يومياً إلى خارج المخيم لتأمين احتياجاتها اليومية اللازمة، لكن مع افتتاح أحد الأسواق الخيرية في مدخل المخيم في بداية شهر رمضان، باتت تقصده لشراء معظم احتياجاتها، وقالت لنا «السوق وفر علينا القليل من المشي، بتنا نأتي إليه، نستكمل الأشياء التي لا نجدها في السوق من منطقة الزاهرة القريبة».

«السوق الخيري» الذي أقيم عند مدخل شارع فلسطين، افتتحته جمعية «نور للإغاثة والتنمية» بالتعاون مع محافظة دمشق. ويقول عنه رئيس مجلس إدارة «نور» محمد جليوط: «هذه السوق، تأتي ضمن خطة التعافي التي أطلقتها الجمعية في مخيم اليرموك، قمنا بعمليات تنظيف لمدخل المخيم بشكل كامل، وأعدنا تجهيزه، وأزلنا الردم والخردة التي كانت موجودة، ثم افتتحنا سوق رمضان الخيري، والفكرة من السوق تقديم فرصة لسكان المخيم، للوصول إلى نقطة بيع مركزية داخل المخيم، تلبي احتياجاتهم بأقل الأسعار». ويشير جليوط إلى أن الجمعية تقوم بالدعم اللوجستي لوصول المنتجات إلى السوق داخل المخيم، وكذلك تأمين المتطوعين لتقديمها للناس.

تعمل جمعية «نور» أيضاً، على تقديم الخدمة الطبية مجاناً، في مركز «نور الطبي» داخل المخيم، الذي افتُتح بالتزامن مع السوق الخيري في بداية شهر رمضان، وهنا يوضح رئيس مجلس إدارة الجمعية لـ«الأخبار» أن المركز «يقدم ثلاث خدمات، المعاينة والكشف ضمن العيادات، والأدوية اللازمة مجاناً، إضافة إلى خدمات الإحالة إلى مستشفيات دمشق القريبة من المخيم، لأي حالة ولادة أو تحاليل في المختبرات أو تصوير شعاعي».

عادة ما تحصل انتقادات لأي عمل أو مبادرة، إمّا من بوابة النقد للنقد، وإمّا للتطوير والتحسين، ومبادرة تحسين مظهر مدخل المخيم، التي قامت بها «نور» طاولتها مثل هذه الانتقادات من الجانبين، لكن رئيس مجلس إدارة الجمعية له وجهة نظر أخرى بتحسين الوضع الحالي في المخيم، سواء ما قامت به «نور» أو ما يقوم به السكان حالياً، «في أي خطة تعافٍ يجب أن يعاد الاعتبار للحياة، واليوم نعمل مع الشركاء على تنظيف المخيم، بينما الجهات الحكومية تعمل على إصلاح شبكات الصرف الصحي والمياه والكهرباء، والمبادرات المجتمعية الأهلية والمحلية تعمل بحسب إمكانياتها، ونحن بحاجة لتضافر الجهود، وإصلاح مدخل المخيم، له علاقة بإحساس الأمان، واستقرار الوضع، وأن هناك خطوات جدية تحدث على الأرض».

يحلّ مساء المخيم ولا احد

تدق الساعة السادسة في مخيم اليرموك، فتغيب الحركة بشكل كامل، وينتظر الأهالي دخول موعد الإفطار داخل بيوتهم، مع ما تيسر لهم تأمينه من طعام وشراب، ويقيمون صلاة التراويح، الطقس الديني الأشهر في رمضان، داخل بيوتهم، ومن استطاع السير يقصد أحد المساجد خارج المخيم سيراً على الأقدام. يقول العم مصطفى لـ«الأخبار»: «كان المخيم بعد الإفطار، يمتلئ بأصوات التكبيرات خلال إقامة صلوات التراويح في المساجد، التي كانت تنتشر بين حارات المخيم، أمّا اليوم وبعد تحوّل الجزء الأكبر من المخيم إلى خراب مهجور، لم نعد نسمع بعد الإفطار إلا أصوات نباح الكلاب الشاردة داخل الحارات. مع ذلك أخرج يومياً، على رغم الظلام الدامس ووعورة الطريق، إلى أحد مساجد منطقة الزاهرة القريبة، لأداء صلاة التراويح جماعة».

يقضي أهالي اليرموك لياليهم في عتمة حالكة، تكسرها بعض الإنارة الضعيفة من وسائل مختلفة، في ظل غياب الكهرباء، يتجمع الأهالي القريبون إلى بعضهم، يتبادلون الأحاديث، وبذلك، يخلقون دراما واقعية، تؤنس ليلهم وانتظارهم الطويل.

مخيم اليرموك في رمضان

في مخيّمات لبنان: لن يشعر باللاجئ سوى اللاجئ

حنين رباح

بعض الزينة الرمضانية في شوارع المخيم الضيقة، لا يمكن أن تخفي أصوات بكاء الأطفال من الجوع. فالمخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان تعيش ما يمرّ به هذا البلد من أزمة اقتصادية مستمرة منذ عام 2019، والتي تصنّف من أكبر الأزمات على المستوى العالمي، ما يجعل لها تأثيرات اجتماعية ومعيشية على اللاجئين الفلسطينيين كما هي على المواطنين اللبنانيين والمقيمين في لبنان كافة.

تتواصل تجلّيات هذا الانهيار، وتترافق في شهر رمضان، مع تواصل ارتفاع الأسعار، وازدياد تكاليف المواد الغذائية وانهيار الليرة اللبنانية مقابل الدولار. لقد بدأت هذه الأزمة في لبنان، بينما تعيش المخيمات الفلسطينية في فقر، ولا سيما مع عجز وكالة «الأونروا» وتقصيرها أو عدم قدرتها على تقديم الكثير من الخدمات.

تخيّم هذه الأوضاع على العائلات الفلسطينية في المخيمات، فنسبة الفقر فيها تصل إلى 93%، حسب بيان أصدرته «الأونروا» في تشرين الأول العام الماضي، بعنوان «الوصول إلى الحضيض». يمكن ملاحظة نسبة الفقر التي أعلنتها الوكالة المعنية باللاجئين الفلسطينيين، من خلال تغيير العادات الغذائية لدى شريحة كبيرة لدى اللاجئين الفلسطينيين، إذ لم يعد بإمكان العائلات تحمّل تكاليف وجبة واحدة يومياً، هذا في حال توفرها. ومن المرجح ارتفاع نسبة الفقر، مع استمرار تدهور الأوضاع الاقتصادية وزيادة البطالة. فشهر رمضان الذي يتجسّد فيه شعور الأغنياء بفقر الفقراء، يأتي بأثقاله على المخيم.

في مخيم شاتيلا تقدّم الحاجة كريمة، وجبة إفطار يومية لعدد من المحتاجين في المخيم، تجمع القليل من التبرعات منذ عام 2000، وتعدّ الإفطار بنفسها وتوزعه على أهالي المخيم

اهلا الخير في المخيم

مع بداية شهر رمضان، شعر أهالي المخيم بصعوبة التكيّف مع الأوضاع الاقتصادية المتدهورة. فبدأ المخيم تلقائياً، بالتكافل والتضامن، فالمعاناة مشتركة، وفي مثل هذه الأوضاع، تكثر أيادي الخير، فخلال السنوات المنصرمة، أصبح تقليداً سنوياً، بروز حملات التكافل والتضامن في المخيمات خلال هذا الشهر، فمعظم الحملات باتت تحمل ذكرى سنوية لانطلاقتها. يؤكد المجتمع في المخيمات ثباته على الترابط في مواجهة الأزمات.

أعداد المتطوعين من جميع الأعمار لا يمكن حصرها في كل المخيمات. مشهد يمكن وصفه بالجنة، حين تمر قبل حلول الإفطار بساعتين في المخيم، سيلاحظ على الفور، الشباب بصحبة الأطفال، يوزعون الحصص الغذائية على العائلات، والأمهات في المطابخ يعدّون الأرز في قدور ضخمة. مشاهد تتجلّى فيها بساطة وتلاحم أهالي المخيم، في أبهى صورهما. هؤلاء اللاجئين حين يعانون، لكنهم يستمرون.

«لا يزال حجم المعاناة كبيراً، على الرغم من كثافة حملات التبرع وتوزيع الطعام». هذا ما قاله عضو جمعية «أمان»، ثائر دبوب. فمع حجم الجهد الذي تقوم به «أمان» في مخيم برج البراجنة، بالاشتراك مع أكثر من 4 جهات تقدم خدمات التبرع والتوزيع في المخيم، إلا أن حجم الفقر يفوق التبرعات التي تصل من مغتربي المخيم، وبعض الفصائل الفلسطينية.

تكامل للتكافل

شكّلت عدة جمعيات («أمان - رابطة شهداء برج البراجنة - رابطة عكار - حملة الخير - رابطة ترشيحا) في مخيم برج البراجنة، مجتمعة «لجنة رمضان»، لتنهض بشؤون الفقراء في المخيم خلال شهر الصيام، عبر حملة تقديم وجبات الإفطار والدعم لسكان المخيم، كما يوضح ثائر دبدوب: «هذه الحملة لكل فقير في المخيم، إذ لا يمكن التفريق بين فلسطيني أو سوري أو بنغلادشي أو لبناني، فجميعهم فقراء المخيم، وحملة العنصرية التي تُمارس على أهل المخيم لن تُردّ بالمثل». تتوزع الحملة نحو 400 وجبة إفطار عائلية، وذلك بعد إعدادها في بعض المطابخ التابعة للروابط في المخيم. ويشرح مسؤول المؤسسات في حركة «فتح» في بيروت والمشرف على مطبخ «شهداء مخيم برج البراجنة» محمد دبدوب، آلية إعداد وجبات الإفطار: «تطوع عدد من النساء والرجال، لطبخ المأكولات، التي عادة ما تتضمن أرزاً ولحوماً، إضافة إلى العصائر والتمر، ويتولى الشباب المتطوع التوضيب والتوزيع لإيصالها ساخنة مع موعد الإفطار». الوجبات الموزعة تصل إلى الأكثر فقراً في المخيم، كما تصل إلى بعضهم عند أطراف المخيم.

(وكالة القدس للأنباء)

حملات للشباب والأفراد

كما انطلقت الحملات الجماعية المدعومة، هناك حملات فردية، ففي مخيم شاتيلا تقدّم الحاجة كريمة، وجبة إفطار يومية لعدد من المحتاجين في المخيم، تجمع القليل من التبرعات منذ عام 2000، وتعدّ الإفطار بنفسها وتوزعه على أهالي المخيم، بمساعدة أهل بيتها والأقارب في هذه المبادرة، تقدّم الإفطار لأكثر من 15 شخصاً يومياً. الحاجة كريمة معروفة أيضاً بـ«أمّ الأيتام» في المخيم، تعدّ لهم الطعام، كما تعدّه لأولادها، فهي عمّة يتيم، فقد والده الشهيد عام 2000 في الجنوب، فقررت بعد استشهاد شقيقها أن تتبنّى كل أيتام المخيم. ولا يقف التكافل عند حدّ الوجبات، إذ تجمع التبرعات أيضاً لتوفير «كسوة العيد» للأطفال.

ومثل حملة الحاجة كريمة، هناك حملة «من فاعل خير إلى أهل الخير» التي تنظّمها مجموعة من الشباب. تجمع هذه الحملة تبرعاتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتقوم بتصوير التقارير عن أوضاع المخيم، ما يساعدها في جمع التبرعات، التي تؤمن المساعدات للمحتاجين. في النتيجة، لا تقي هذه الحملات كل البيوت الفقر، لكنها «البحصة التي تسند الجرّة»، والوجه الجميل للمخيمات وأهلها، ولا سيما في ظل غياب الحملات الكبرى من قبل الجهات المسؤولة عن أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات، وعلى رأسها «الأونروا».

طقوس غائبة عن «اليرموك»

البلاد

رمضان في سوريا
شظف ومخيمات منكوبة ومنسية

يحيي الفلسطينيون في مخيمات النيرب وحندرات والرمل الجنوبي شهر رمضان المبارك لهذا العام، وسط ظروف هي الأسوأ اقتصادياً ومعيشياً ما بعد الزلزال المدمر الذي ضرب سوريا وتركيا في شباط الماضي. بيوت مدمرة وأخرى متصدعة لم تعد تصلح للسكن. وكذلك الشوارع والساحات كئيبة. ووجوه الناس بائسة، وأجسادهم أنهكتها الحرب. خلال أكثر من أحد عشر عاماً وما زالت تداعياتها الخطيرة مستمرة. في ظل هذه الأوضاع الصعبة، ولا سيما بعد الزلزال، جالت «الأخبار» في هذه المخيمات، واستطلعت أوضاع اللاجئين الفلسطينيين، عبر بعض الشهادات

نعيم إبراهيم

رشدي الزهر، رجل إطفاء متقاعد من مخيم حندرات، يقيم في مخيم الرمل بالذقاقة منذ بداية الأزمة السورية، يتحدث عن أجواء رمضان اليوم في المخيم: «تختلف هذا العام عن سابقاتها، تفتقر المائدة لكثير من الوجبات الرئيسية ذات القيمة الغذائية العالية للجسم. كما أن المائدة لم تعد تجمع الأهل والأقارب، عدا عن فقدان تبادل الأطباق والحلويات بين الجيران والناس عامة كما كان الأمر في السابق، فكانت الموائد فيها من صنع البيت، وفيها من طبخ أم محمد وابو نورس وبيت مصطفى وهكذا، أما الآن، بتنا نفتقر إلى هذه العادة الإيجابية بسبب الأوضاع المعيشية الصعبة والارتفاع الجنوني في الأسعار، بخاصة بعد التعرض لكارثة طبيعية تمثلت بالزلزال». وقبل كارثة الزلزال كانت «الحرب والحصار، اللذان تتعرض لهما سوريا، وأصبحنا نفتدر الموائد الرمضانية على شكل عينات بسبب الشح الكبير في تأمين الطعام بمختلف أنواعه».

لا خير رمضانية

لا تتوقف المعاناة عند تحضير موائد رمضان، بل تتسع دائرتها لتطاول أسعار المنازل، تحديداً أجورها: «تعاني من الارتفاع الكبير لإيجار المنازل التي لا تتناسب مع دخلنا البسيط، بدل أن يكون الأمر عكس ذلك، فأنا راتبي التقاعدي مئة ألف ليرة، بينما أجرة المنزل الذي أسكن فيه تصل إلى 150 ألف ليرة. وهناك منازل أجرتها أكبر من ذلك بكثير وهذا غير معقول أبداً»، يقول الزهر. هذا المنزل، الذي يحتاج إلى أضعاف راتب الزهر التقاعدي، يحتضن سكانه في معظم الأوقات في رمضان، فلم تعد تعقد السهرات ولا الخيام الرمضانية. يخبرنا الزهر والحزن يرتدي وجهه: «نقضي كل أوقاتنا في المنازل، فلا يجتمع الأهل والأقارب إلا نادراً. وحتى أماكن الترفيه، نفتقدها بشكل شبه كامل، كما نفتقر إلى برامج التسلية وإلى متابعة التلفزيون، نتيجة انقطاع الكهرباء لساعات طويلة».

المساعدات لا تكفي

«قليلة جداً»، هكذا يختصر الزهر موضوع المساعدات، لكنه يستطرد موضحاً «وكالة الأونروا، قدمت مشكورة، مساعدات مالية استثنائية، بلغت 441,500 ليرة سورية، لكل عائلة، إلا أن هذا المبلغ لا يكفي في ظل الواقع المعيشي الصعب والشح الكبير بالمعونات والمساعدات من المنظمات والهيئات والجهات المحلية والدولية. وعدد العائلات في هذا المخيم (الرمل) يصل إلى 4 آلاف عائلة على الأقل، ولا يتم توزيع سوى 300 سلة غذائية ضمن فترات متباعدة، وهذا قليل جداً، ولذلك غالبية العائلات متضررة والمخيم بحاجة إلى ما يكفيه من المساعدات الاستثنائية، بغض النظر عما إذا كانت البيوت مهدمة أم لا، لأن أعمالنا متوقفة، والإيجارات مرتفعة، والوضع الاقتصادي والمعيشي يزداد صعوبة، بخاصة خلال شهر رمضان».

وعن المساعدات، يوضح عبد الرحمن الصواف، أحد القاطنين في مخيم الرمل، لـ«الأخبار»، أن «معظم الفصائل والقوى، كحركة الجهاد الإسلامي، والسلطة الفلسطينية،

> **أفراد أسرتي سبعة، ومدخولي الشهري لا يتجاوز ثلاثمئة ألف ليرة، ولا أستطيع توفير كل شيء، على صعيد الماكل والملبس والتعليم وغير ذلك**

وحركة فتح، والهلال الأحمر الفلسطيني، جميعهم قدموا إعانات، تمثلت بسلل غذائية للأسر، وأيضاً للمعوقين والأرامل وكبار السن، ومساعدة إضافية من الأونروا قيمتها ثلاثة ملايين ونصف المليون ليرة، لأصحاب البيوت المهدمة، والأخرى التي بحاجة إلى ترميم جراء الزلزال».

حلم «سورية العدس»

تسكن فاطمة.س، مع ثلاثة أولاد، في بيت استأجرته بمحيط المخيم، بعد أن فقدت الأسرة كل ما تملك. تصف رمضان هذا العام بأنه الأقسى على الإطلاق، مع انعدام القدرة الشرائية، وشح المواد الغذائية الرخيصة في الأسواق. تضرب فاطمة لنا مثالاً عن شوربة العدس: «هي من الأطباق الأساسية في بيتنا خلال رمضان، بسبب ما تعطيه من طاقة وفوائد صحية بعد فترة الصيام. تكلفتها اليوم أكثر من 10 آلاف ليرة سورية [الدولار في السوق الموازية 7425 للدولار الواحد]». تعبر فاطمة عن حزنها، فلا شيء يدعو للسرور في نظرها، «هي الحكاية مطولة هيك، ما في شي بسر الخاطر، بعد ما فقدنا كل شي وتشردنا من جديد وضاعت كتير أمور وتراجعت أوضاعنا الصحية كتير، بسبب عدم التغذية الكاملة، وما في مصاري بتكفي، ولا مساعدات منيحة، تحديداً بهذا الشهر المبارك. تعبنا كتير والله، وبدنا حلول لمشاكلنا كلها».

«الأونروا» متهمة

في مخيم النيرب بمحافظة حلب، لا يبدو المشهد مختلفاً، في ظل العيش بالقليل القليل، وتقديم ما يمكن من المساعدات، من قبل الجهات المعنية ومنها على سبيل المثال وليس الحصر، «لواء القدس». يقول مسؤول الإعلام الحربي محمد أبو الليل، من المخيم، لـ«الأخبار»، إنّ «غالبية الجهات المعنية، ومنها لواء القدس، يقدمون سلاً غذائية، وبعض المواد الصحية، والمساعدات المالية إلى الأهالي في كل الأوقات، وهناك إغاثات استثنائية يحصلون عليها في رمضان لمواجهة الظروف الصعبة جداً، والتداعيات الكبيرة للحرب والزلزال». يؤكد أبو الليل أن أوضاع الناس صعبة وليست سهلة، ويبين أيضاً أن «هناك استياء في صفوف المنكوبين من وكالة الأونروا وطريقة صرف المعونات، بسبب سياساتها التي تهيمن عليها الدول المانحة، إضافة إلى وجود تمييز في تقديم الخدمات والمساعدات». يطالب أبو الليل الوكالة بأن تعيد النظر «في سياسة صرف المساعدات، وتقديم رواتب شهرية لمتضرري الزلزال في المخيمات المنكوبة وغيرها، فنحن كفعاليات أهلية وجمعيات خيرية، لا يمكننا أن نغطي كل جوانب المساعدات وغيرها في ظل شيوع البطالة الواسعة والفقر المدقع».

س.ع، واحد من سكان مخيم النيرب، يؤكد لـ«الأخبار» الأوضاع الصعبة التي تحدّث عنها أبو الليل: «أفراد أسرتي سبعة، ومدخولي الشهري، لا يتجاوز ثلاثمئة ألف ليرة، ولا أستطيع توفير كل شيء على صعيد الماكل والملبس والتعليم وغير ذلك، من الاحتياجات المعيشية في ظل ارتفاع الأسعار الجنوني خاصة في شهر الصوم الذي منعيشه يوم بيوم وبالقطارة، وأحياناً نحصل على مساعدات تموينية، ومالية، لكنها ما تلبي الغرض بتحقيق الاكتفاء، لذلك اضطر أحياناً وكل ما صار مجال، للعمل الإضافي، لتأمين لقمة العيش لعائلتي، وأرجو أن تتحسن الأوضاع لنعيش أجواء رمضان مثل السابق».

رمضان منكوب ومخيم منسي

مخيم حندرات، ليس أحسن حالاً، يقدّر أمين سر شعبة مخيم حندرات في «فتح الانتفاضة» الأخ أبو علي، أن «85% من المخيم مدمر، وبسبب الزلزال أصبح المخيم منكوباً، ومع الدمار الكبير وعدم توافر الكهرباء والماء، تحول شهر رمضان لمجرد عادة، حتى العلاقات الأسرية أصبحت ضعيفة بواقع هذه الحال، بينما المساعدات التي ترد للمخيم، هزيلة ولا تفي بالغرض المطلوب، حتى أن بعضها لم يصل إلى من يستحقونها. والأونروا ضعيفة جداً اتجاه هذا الموضوع. نتمنى تسليط الضوء على هذا المخيم، لأنه منسي من كل الأطراف».

أمّا زاهر طحان، وهو أحد سكان حلب، ويعمل مراسلاً صحافياً، ويغطي أوضاع المخيمات أحياناً، عبّر لـ«الأخبار» عن مشاهداته: «لقد ذهبت قبل عدة أيام إلى مخيم حندرات، ولم أجد ما يدلل على أجواء شهر رمضان، لأن كل شيء مدمر، ولا حياة في المخيم، بسبب عدم عودة معظم الأهالي إليه نتيجة الأضرار الكبيرة التي تعرض لها خلال فترة الحرب على سورية وتشرد أهله منه». ويتابع: «أمّا مخيم النيرب، فيعيش أهله أجواء رمضانية مقبولة، فهناك حركة البيع والشراء نشطة نوعاً ما، وهم يحبون العمل، ويحاولون التغلب على الواقع الأليم والظروف المعيشية والاقتصادية الصعبة، مع عدم كفاية المساعدات التي تقدم من قبل المنظمات الدولية وتحديداً وكالة الأونروا».

...و«الأونروا» ترد وتوضح

حالة الاستياء شبه العامة من «الأونروا»، دفعتنا للسؤال عن دورها وبرامجها في المساعدات للاجئين الفلسطينيين في سوريا. أجابت الوكالة عبر مصدر إعلامي مسؤول لديها في سوريا، بأنها «طورت خطة استجابة لدعم اللاجئين الفلسطينيين المتضررين من الزلزال الذي ضرب أجزاء من سوريا في 6 شباط 2023. كما ناقشت الأونروا خطتها مع الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب. ويسر الأونروا أن تشاركك أنها بدأت في توزيع مساعدات نقدية استثنائية للأسر المتضررة بشكل مباشر من الزلزال في المناطق المتضررة التي حددتها الحكومة السورية في اللاذقية وجبلة وحماة وحلب (بما في ذلك مخيمات النيرب وعين التل)». وأضاف المصدر أنه «سيتم تقديم المساعدة النقدية الاستثنائية لعائلات اللاجئين الفلسطينيين، التي فقدت منازلها (منازلهم منهارة) أو الذين أخلوا منازلهم لأنها (منازل غير آمنة)، وكذلك عائلات اللاجئين الفلسطينيين، التي لم تغادر منازلها لأنها تعرضت لأضرار جزئية، حيث يعتمد تحديد المستفيدين بناء على المستندات المقدمة والموافقة عليها من قبل اللجان الهندسية المشكلة من قبل الحكومة أو سلطات معنية أخرى، إضافة إلى ذلك، سيقوم موظفو الأونروا بزيارة هذه المنازل للوقوف على الاحتياجات وتقييم أوضاعها».

وتؤكد «الأونروا» أيضاً أنها بدأت «صرف المساعدات النقدية، اعتباراً من 23 آذار 2023، حيث باشرت بتوزيع المساعدات النقدية لمدة شهرين. وخلال الفترة المقبلة، ستواصل إعداد قوائم جديدة بالمستفيدين، لدعم اللاجئين الفلسطينيين الذين تضرروا من الزلزال في المحافظات، من خلال مراجعة التقييمات المتاحة والمعتمدة، وكذلك تقييمات الوكالة الخاصة بمعايير الاستحقاق».

في ذكرى وديع حداد: لنلاحق العدو في كل مكان

أحمد الطناني

لم يَكُنْ وديع حداد قائداً عادياً، ولَم يَأتِ في مرحلة عادية. كان أبو هاني صاحب البصمات الأهم في اللحظة الأكثر مركزية للشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، إذ ساهَمَ فِعل وديع الذي لو نُوقِش بصوت مرتفع في أي محفل لَعُدَّ ضرباً من الجنون، أن تتحدى العالَم كلَّه لتقول «أنا فلسطيني. أنا موجود»، لكنَّ وديعاً أدرَكَ مبكراً أنه ليس المطلوب من الثائر أن يكُون «واقعياً»، ولا أن ينشغل كثيراً بحسابات الربح والخسارة، بل إن لدى الثائر هدفاً استراتيجياً، هو فلسطين، كل فلسطين، من نهرها إلى بحرها، وللوصول إليها يجب أن يضع العالَم باسم فلسطين، وألّا يَأخذ هذا الاحتلالُ فرصةً ليتحول إلى مكوِّن طبيعي في العالَم، فهذا كيان طارئ محتل وقاتِل، ولن ينعم بدقيقة من الأمن والراحة في أي مكان، لا هو ولا داعموه وحلفاؤه.

ضربات «المجال الخارجيّ» في «الجبهة الشعبية لتحرير فلَسطين» بقيادة وديع حداد، إلى جانب نوعيتها الأمنية واحترافيتها الكبيرة ضمن تصنيفات «العمليات الخاصة» التي حَجَزَتْ مكانَها في التاريخ من بين العمليات الأكثر نوعية، حَمَلَتْ في الوقتِ ذاتِه قيمتَها الإنسانية بتحويل العمليات النضالية إلى منبر لإيصال صوت فلسطين لكل العالَم عبر سفراء تضع «الجبهة الشعبية» طوابع بريدها وختمها الفلسطيني على جوازات سفرهم، ليَحملوا اسمَ فلسطين إلى دولهم، في هجوم استَهْدَف الوعيَ الجمعيَّ للعالَم، وعَكَسَ للعالَم أجمَعَ ماهيةَ نوعيةِ الثوارِ الذين يَحملون قضيةَ فلسطين، أنهم ثوار يَحملون وعيَهم وموقفَهم السياسيَّ على فوهة بنادقهم، وبوصلتهم إلى فلسطين.

ما مثَّلَتْه جرأةُ وديع وإبداعُه وإقدامُه اللامحدود كان الوصفةَ السحريةَ التي احتاجها شعبنا الفلسطيني، والمكمِلَ الأمثَلَ لعقلية جورج حبش السياسية والثورية، والتنظيرَ المتينَ المتماسكَ والمبدئيَّ الذي قدَّمته «الجبهة» مع انطلاقتها، ليُشكِّل الثنائيُّ رأسَ الحربةِ التي حوَّلت شعبَنا الفلسطينيَّ مِن مُهجَّرين ومُشتَّتين، إلى ثوار يطاردون العدو في كل مكان في العالم.

نَجَحَ وديع حداد في تشكيل عامِل جذبٍ واستثمار أمثَل للثوار في العالَم، وشكَّل اسمُه «الماركة» الأجدَرَ الأبرزَ لكل ثائر حالِم يَطمح بأن يَترك بصمتَه في هذا العالَم الظالِم مُختلّ القوى والمعايير، فكان «المجال الخارجي» بوصلةً

> **ليس المطلوب من هذا التساؤل العودة إلى العمليات ذاتها فتلك كانت لها مبرراتها واللحظة التاريخية المواتية بل إن المطلوب العودة إلى طريقة تفكير وديع حداد الإبداعية**

للعديد من الثوار من مختلف الجنسيات، الذين نَجَحَ غسان كنفاني في تعبئتهم بأهمية القضية الفلسطينية، وعَدُّوها قضيتَهم المركزيةَ وقدَّموا في سبيل فكرتها وفكرةِ «الجبهةِ الشعبيةِ» التضحيات. إذ تقدَّم فدائيو «الجيش الأحمر» الياباني، و«الجيش الأحمر» الألماني، والفدائي مظفر الإيراني، وكارلوس الفنزويلي، وباتريك أرغويلو النيكاراغوي، والعديد من الأسماء من جنسيات مختلفة، الذين قدَّموا أرواحَهم وأعمارَهم وفاءً للفكرة تحت قيادة وديع والحكيم.

اليوم، بعد أكثر من 45 عاماً على رحيل رائدِ «المجال الخارجي»، وبطلِ ملاحَقة العدو في كل مكان، وصاحبِ الشكل النضالي الذي حاول العديدُ توجيهَ سهامهم المسمومة لنقدِه، يبرز التساؤل التاريخي الأهم: هل كانت الثورة الفلسطينية لتصل إلى كل المحافل الدولية من دون الصخب الذي أحدثته عمليات المجال الخارجي في «الجبهة الشعبية» في كل أرجاء العالَم، ومن دون تحويل المنّات إلى سفراء للشعب الفلسطيني وقضيته في دولهم؟

لِيأخذنا التساؤل إلى ما بعده، ألا يجب على كل قوى الشعب الفلسطيني إعادة النظر في فلسفة العمل الخارجي، لا سيَّما وسط السلوك الإجرامي الصهيوني المتصاعد الذي لا يتوانى عن استهداف مناضِلي شعبنا الفلسطيني وداعِميه في كل مكان في العالَم، عبر عمليات الاغتيال أو الاختطاف أو الاستهداف المنهج بهدف الترحيل أو الاعتقال في الدول المضيفة؟ ألا يضع هذا التحدي قوى المقاومة أمام مسؤولية مواجَهة العمل الخارجي بالعمل الخارجي، وإن كان بتكتيكات وأساليب مختلفة تُشتَقّ من واقع التطورات العالمية الحالية؟

ليس المطلوب من هذا التساؤل العودة إلى العمليات ذاتها التي نفَّذها وديع ورفاقه، فتلك كانت لها مبرراتها ووقتها واللحظة التاريخية المواتية لتنفيذها، بل إن المطلوب العودة إلى طريقة تفكير وديع حداد الإبداعية التي لا تَعرف حدوداً، والتي تَرى أنه لا وجود للمستحيل، فالمستحيل صعب لكنه ممكن، وهو ما يتطلب ألّا تضع قيادة المقاوَمة الفلسطينية حدوداً لعنانِ تفكيرها في اشتقاق أساليب وأدوات عمل تُسهم في توسيع حلقات ودوائر الاشتباك وملاحَقة الاحتلال في كل مكان. فهذا العدو لن يَفهم سوى لغة القوة، القوة التي تهدِّد مصالحَه تهديداً جدياً، ليس داخل فلسطين المحتلة فقط، بل في كل مكان في العالَم، ومن جانب آخَر ستكون كلُّ الساحات ساحاتٍ لتصعيد الاشتباك في فلسطين المحتلة، ويجب ألَّا تكون عملية «مجدو» حدثاً منفصلاً، بل بدايةً لفعل نضالي متصل يعيد الدور الفاعل للاجئي شعبنا وحلفائه في دول الطوق في معادَلة المواجَهة.

في ذكرى وديع حداد، القائد الذي خلَّده فِعلُه وإقدامُه وجرأتُه وموقفُه الثابت، الداعية مفتوحة لأن نكون ثواراً أكثر في التفكير، وأجرأ في الطرح، وأقوى في التنفيذ، وأن نواجه العدو في كل ساحات فِعلِه، وأن يكون المثل بالمثل، وليعلم الاحتلال أن تدشينه معادلاتِ الملاحَقة لرموز المقاومة واستهدافهم في أي مكان في العالَم، سيُقابَل بالمثل، وسترد المقاومة في أي مكان في العالَم، فإن لم يَجد العدوُّ رادعاً وخطوطاً حمراءَ تواجِه إجرامَه، لن يتوانى عن الإيغال في دماء شعبِنا ومقاوِميه.

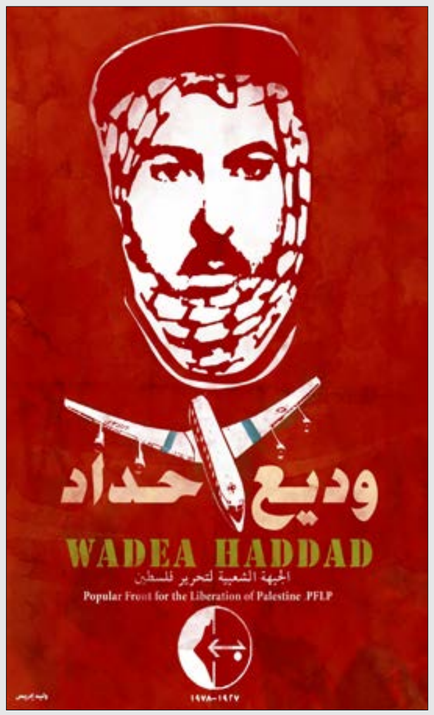

الأخبار
al-akhbar
السبت 1 نيسان 2023 العدد 4887

رمضان 2023

ليالي صيدا القديمة «تغنّي للعيد»

كما في كل عام، تخبّئ صيدا أفراحها لتطلقها في ليالي رمضان. هكذا، تزدهر صيدا القديمة مجدّداً على حساب «نيو صيدا»، تجارياً وسياحياً وثقافياً، بخلاف السائد طوال العام. آلاف الزوّار يقصدون مقاهيها وأفرانها ومحالّ الفول والحلوى التي تفتح أبوابها حتى أذان الفجر. لكنّ مشهد الأزقة القديمة ومشربيّات البيوت الخشبية والحجر الرملي المرمّم، لا يكتمل إلا بالأمسيات الفنية التي تبث الروح بين السكان الفقراء.

تتنوّع العروض الفنية والثقافية ضمن فعاليات «صيدا مدينة رمضانية» التي ترعاها البلدية. طوال شهر الصوم، يفتح «خان الإفرنج» أبوابه لمعارض «الحرفيين» و«حكاية الأزرق» و«حكايات صيدا زمان». وعلى خطٍّ موازٍ، تتوزّع الأمسيات بين معالم صيدا القديمة التراثية، من ساحتَيْ ضهر المير وباب السراي إلى «حمّام الجديد». وأبرز ما ميّز الأسبوع الأوّل، أمسية «في ذاكرتي» للفنانة أميمة الخليل والموسيقي زياد الأحمدية في «قصر دبانة». وفي «متحف الصابون»، استضافت «مؤسسة عودة الثقافية» عرضاً موسيقياً لفرقة «عود بلا حدود».

كذلك، هناك أنشطة من تنظيم «مؤسسة الحريري للتنمية البشرية والمستدامة» وجمعية «الكشّاف المسلم في لبنان» و«مؤسسة الجيل للتنمية المستدامة» (حفلة «صبا الدمشقية» اليوم السبت في ساحة ضهر المير ـ س: 22:00).

أما «مؤسّسة شرقي للإنماء والابتكار الثقافي»، فتتحضّر لاستضافة سبعة مواعيد مختلفة في «حمّام الجديد» الذي شُيِّد في القرن الثامن عشر، ورمّمته المؤسسة وافتتحته عام 2020، بعد إهماله منذ إقفاله عام 1948.

بعدما افتُتح هذا الصرح قبل ثلاث سنوات بمعرض طوم يونغ ضمّ جداريات وثّقت مشاهد من الذاكرة الجماعية لأهل صيدا القديمة، أضاف الرسّام البريطاني إلى مجموعته القديمة 15 لوحة زيتية تحت عنوان Revival، تحاكي ليالي رمضان القديمة.

وبين لوحات يونغ، سيجلس الجمهور بدءاً من اليوم السبت، لمشاهدة عروض فنية في نهاية كل أسبوع، تحت عنوان «علّوا البيارق... غنّوا للعيد». الافتتاح الليلة مع «كورال الفيحاء الوطني» بقيادة المايسترو باركيف تاسلاكيان. أربعون مغنياً سيقدّمون أغنيات لبنانية وعربية «خالدة»، بتوزيع جديد.

وغداً الأحد، تقدّم فرقة «تجلّي صوفي»، المؤلّفة من زكريا العمر (غناء وعود) وطارق بشاشة (كلارينيت) وعبد الله جطل (إيقاع) وعلي الصباح (غيتار)، أمسية بعنوان «صدى»، تتضمّن كالعادة

سلوى جرادات

مقاطع أصليّة تمتزج مع روائع الشّعر الصّوفي التي تحمل توقيع أسماء بارزة كابن الفارض وجلال الدين الرومي ورابعة العدوية والحلّاج وغيرهم.

وفي السادس من نيسان (أبريل) الحالي، تحيي المغنية اللبنانية نادين حسن سهرة طربية بعنوان «افرح يا قلبي». ستؤدّي الفنانة أغنيات لأم كلثوم وأسمهان وليلى مراد، لكن بأسلوب جديد «مع الحفاظ على الروحية الأصلية»، وفق ما تقول لـ «الأخبار». ستغنّي حسن إلى جانب الموسيقيين: ضياء حمزة (بيانو)، وجاك اسطفان (كمان)، وأحمد الخطيب (إيقاع).

في اليوم التالي، سيكون الجمهور على موعد مع «مسلسل لبناني». وهو عرض ارتجالي لـ«هيديك الفرقة» الذي يتضمّن «كثيراً من الدراما والهزل والأكشن...». أحداث هذا «المسلسل» الذي يصفه القائمون عليه بـ«الساحر» ليست مترابطة إلى حدّ بعيد، ولكن غير متوقّعة في الوقت نفسه، من دون الإفصاح عن تفاصيل إضافية.

ليلة 14 نيسان، مخصّصة للشعر والحكاية من خلال «مقام الأنس» مع الشاعر حسن المقداد والحكواتية رجاء بشارة، على أن يتبعهما في اليوم التالي الفنان زياد الأحمدية برفقة كورال تحت عنوان «مكتوب». قبل المشاركة في مهرجان «سطوح الوصل» في «استديو لبن» البيروتي، أجرى الأحمدية تجارب أداء اختار في نهايتها 24 صوتاً جميلاً، وبدأ بتدريبها، لتشكّل كورالاً رافقه حتى الآن في ثلاث حفلات. في السهرة المنتظرة، سيقتصر العدد على 12 بسبب ضيق المكان، حيث سيقدّم هؤلاء المغنون أعمالاً قديمة وجديدة كلّها من ألحان زياد الذي سيؤدّي واحداً فقط بصوته بعنوان «صيف وشتي»، فيما سيعزف على عوده ويقود الكورال، بمرافقة أحمد الخطيب على الإيقاع، وضياء حمزة على الأكورديون والهارمونيكا، وشادي الأحمدية على البيانو.

أما المغنية الفلسطينية المقيمة في لبنان سلوى جرادات، فتلتقي الجمهور في الحفلة الأخيرة. على جدول سهرة «على بلد المحبوب» التي يرافقها فيها العازفون علي عبدو (تشيلّو) وجورج الشيخ (ناي) وبهاء ضو (إيقاع)، مختارات مرتبطة بأجواء رمضان من ريبيرتوار أم كلثوم وعبد الوهاب والشيخ إمام وكارم محمود وسيد درويش بالإضافة إلى موشّحات شهيرة، وهي: سماعي بياتي، «برضاك»، قصيدة «وحقك»، «إملالي الأقداح»، «منيتي عزّ اصطباري»، «على بلد المحبوب»، «تعال يا خيال»، «ذا الأهيف»، «بدت من الخدر»، «هوا صحيح»، «أنا أتوب عن حبّك»، «ملا الكاسات»، «أمانة عليك»، «يمرّ عجباً»، «مضناك»، «زوروني» و«الرضا والنور».

في حديث مع «الأخبار»، يقول رئيس مؤسسة «شرقي»، سعيد باشو، إنّ «تكثيف الأنشطة في «حمّام الجديد» خلال رمضان، يتناغم مع روحية صيدا الرمضانية التي تشهد ازدهاراً إضافياً خلال هذا الشهر». لكن بما أنّه يجب ألا تزدهر المدينة لشهر واحد فقط، «نحرص على توزيع الأنشطة الثقافية والفنية على مدار العام». ويقرّ باشو بأنّ بثّ الروح الثقافية في صيدا القديمة مكلف في ظل الظروف الراهنة، فـ«غالبية المعالم السياحية تقفل أبوابها ليلاً. لكنّنا أصررنا على فتحها يومياً، ليس فقط بالتزامن مع الأمسيات»، مشدّداً في الوقت نفسه على أنّه «نسعى لتثبيت صيدا مدينة مفتوحة للفن والثقافة على مدار العام».

أمسيات «علّوا البيارق... غنّوا للعيد»: من اليوم السبت وحتى الأحد 16 نيسان (أبريل) الحالي، ـ الساعة العاشرة مساءً ـ «حمّام الجديد» (صيدا القديمة ـ جنوب لبنان). للاستعلام: 81/282848

بقعٌ حمراء

تحرير «إنما»

لم يُقدّم لنا أحد الإرشادات اللازمة للتخلّص منها رغم أننا نتوقّعها على الدوام. لا تزول البقعة الحمراء سريعاً، وإن مُسِحت بخرق نظيفة: دم الدورة الشهرية حين يحطّ التنين في الجسد، دم الولادة والأوردة المتدفّقة ندماً وقلقاً من الأم إلى طفلها. دماء الرفض التي تعلّم كصفعة محمرّة على الخد. بعض الدماء لا تزول إطلاقاً، بل تخلّف وشماً غائراً في أسفل البطن المشقوقة بعد ولادة مستعصية، مُحدثةً انقساماً رمزيّاً حادّاً، يُضاف إلى الانقسام الذي كان قد صنعه الحمل في جسد المرأة، بالاستدارة الملتفّة من الحوض، مركز الثقل كما تسمّيه المفكّرة البلغاريّة جوليا كريستيفا، في نصّها «ستابات ماتار »، والذي يفصل ما بين البطن التي تحمل كائناً آخر وما بين الأطراف والصدر والرأس. التشقّقات قد يُحدثها الرصاص والعصي على أجساد النساء، بقع قانية تتمدّد وتلتف حول موقع الإصابة حتى إن لم تصلنا صور الجريمة. سيتراءى الدم فوراً على رغم غيابه لدى النظر إلى وجوه النساء المقتولات في صور كن قد التقطنها بهواتفهن. آخرها، الصورة المتبقيّة لزينب زعيتر. لقطة مقرّبة إلى وجهها، لكنها نظيفة من أية نقطة حمراء ما عدا أحمر شفتيها الذي يميل إلى الزهري، مع ذلك، كلّما نظرنا إليها تنهمر الدماء ساخنة كأنما فاضت للتوّ من جسدها الذي اخترقته 8 رصاصات الأسبوع الماضي، بعدما أرداها زوجها في منطقة الشويفات في لبنان. لا بدّ أن أطفالها رأوا البقع عنّا. يحيي الدم ويميت: يحيي جسد الأنثى في فترة الحيض، حين يظهر على جسدها كلطخات في المنامات، لكنه غالباً لن يحيي من الضحية سوى صورتها، ولو لوقت بسيط، ولو في الخفاء.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 1 نيسان 2023
العدد 4887 السنة السابعة عشرة
Samedi 1 Avril 2023 nº 4887 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

هارون غون سالي ـ «بين الرجال» (2014)

ملف

كشكول المحبّين من التراث العربي والإسلامي: توهّمت أنّكَ أنّي!

هي باقة من كشكول المحبّين، نستلّها من التراث العربي والإسلامي في شهر رمضان لنستخرج من هذا التراث قيم الرافة والمحبة والزهد والإيثار والحب على انواعه الذي وصل فيه العاشقون والمتيّمون إلى الحلول في الحبيب كما ورد على لسان ابي منصور الحلاج: «واللّه ما طلعَت شمسٌ ولا غَرَبت إلّا وحُبُّكَ مقرونٌ بأنفاسي، ولا هَمَمتُ بشُربِ الماء من عطشٍ إلّا رأيتُ خيالاً مِنكَ في الكأس». إنّها دعوة جديدة لزيارة هذا التراث وتنخيله من كل ما علق به من ادران التعصّب والتحيّز والطائفية والدعوات البغيضة لتحويله إلى احزمة ناسفة وكرابيج تسوط ظهر عاشقيه، او نصّ عصيّ على التأويل يحرم اهلاً من رعاية ابنائها، بينما يحنو نبي العرب على ظبية اسيرة، ويغوص التراث باهّات كتبه بالوان من العشق الممنوع. ليس من قبيل المصادفة ان يكون جلال الدين الرومي وشمس التبريزي بطلين في الرواية الغربية اليوم، فهما سليلا حضارة تكبر نصوصها في العقول الكبيرة، وتصغر في العقول الصغيرة كما يقول ادونيس. تراث روحي لم يتوقف يوماً عن رفد الإنسانية بالقيم التي لا يمكن لاحد ان يحتكرها او ان يجعل من رموزها ابطالاً إيكزوتيكيين في رواية، او من نسائها إماء في الحرملك كما صوّرتهن لوحات دولاكروا او مخيلة الاستشراق. نستعرض في «كلمات» باقة من قصص الحبّ والتصوف والعبادة والحرية، مستلهمة من امهات كتب التراث ومن كتاب للشاعر السوري امارجي (ديوان العشق الصوفي) صادر عن «دار خطوط وظلال» (2021) جمع فيه الكثير من تراجم المحبّين واشعار العاشقين

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

■ حديث النبي والظبية

مرّ النبي على قوم قد اصطادوا ظبية فشدّوها على عمود فسطاط. فقال: أين صاحب هذه؟ فقال القوم: نحن يا رسول الله. قال: خلّوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم. فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: أنا. وإن شئتم أوثقوني مكانها. فاطلقوها. فذهبت فارضعت ثم رجعت إليهم فاوثقوها، فمرّ بهم النبي - فقال: تبيعونيها؟ فقالوا: هي لك يا رسول الله. فقال: خلّوا عنها، فاطلقوها فذهبت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها في الأرض.

(«البداية والنهاية» لابن كثير)

■ علي بن أبي طالب والارملة

نظر علي بن أبي طالب إلى امراة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقُتل، وترك عليّ صبياناً يتامى، وليس عندي شيء، فقد الجأتني الضرورة إلى خدمة الناس. فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح، حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟ فاتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضي الله عنك، وحكّم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجني وتخبزي وبين أن تعللي الصبيان لأخبز أنا، فقالت: أنا بالصبيان أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعلّلهم حتى أفرغ من الخبز، فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد عليٌّ إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقّم الصبيان من اللحم والتمر وغيرهما، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعلْ علي بن أبي طالب في حلّ مما أمر في أمرك، فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله اسجر التنور فبادر لسجره فلما اشعله ولفح في وجهه، جعل يقول: ذُقْ يا علي هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى، فرآته امراة تعرفه فقالت: ويحك هذا علي بن أبي طالب، فبادرت المراة وهي تقول: وا حيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل وا حيائي منك يا أمة الله فيما قصّرت في أمرك.

(«مناقب آل أبي طالب» لابن شهر آشوب)

■ الجار ثم الدار

قال الحسن: رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمّيهم وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ! الجار ثمّ الدار.

(«علل الشرائع» للصدوق)

■ علي بن الحسين والفقراء

كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدَّق به، ويقول: «إنَّ صَدَقة السِّرّ تُطفِئُ غَضَب الرَّبّ». فلما مات، تبيّن أنه كان يُعيل مئة عائلة من عوائل المدينة، وكان أهل المدينة يقولون: «ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين».

(«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني)

■ هكذا ينجو المخفّون

وقع حريق في المدائن؛ فأخذ سلمان الفارسي مصحفه وسيفه، وكانا كلّ ما في الدار، فخرج منها وقال: «هكذا ينجو المخفّون».

(«قاموس الرجال» للتستري)

■ عيشهم في التجلّي وبلاؤهم في الستر

سمعت مَنْصُور المغربي يقول: وافى بَعْض الفقراء حيّاً من أحياء العرب، فَاضافه شاب فبينا الشاب في خدمة هَذَا الفقير، إذ غشي عَلَيْهِ فسال الفقير عَن حاله فَقَالُوا: لَهُ بنت عم وَقَدْ علقها فمشت في خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عَلَيْهِ، فمضى الفقير إلى بَاب الخيمة وَقَالَ: إن للغريب فيكم حُرمَة وذماماً وَقَدْ جئت مستشفعاً إليك في امر هَذَا الشاب فتعطفي عَلَيْهِ فيما هُوَ بِهِ من هواك، فَقَالَتْ: سبحان اللَّه أَنْتَ سليم القلب، إنّه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي؟ واعلَمْ أنّ عوام هذه الطائفة عيشهم في التجلي وبلاؤهم في الستر، وَأمَّا الخواص: فَهُمْ بَيْنَ طيش وعيش، لانهم إذَا تجلى لَهُمْ طاشوا وإذا ستر عَلَيْهِم ردوا إلى الحظ فعاشوا.

(«الرسالة القشيرية» للقشيري)

■ لباس الزهّاد

لبس الشبلي يوم العيد ثوبين جديدين، فرأى الناس يسلّم بعضهم على بعض على قدر ثيابهم، فذهب وطرح ثيابه في التنّور، فقيل له لمَ فعلت هذا؟ قال: أردت أن أحرق ما يعبد هؤلاء. ثم لبس الثياب الزرق والسود وأنشأ يقول (من البسيط):

تزيّنَ الناس يوم العيد للعيدِ وقد لَبِستُ ثياب الزُرقِ والسودِ
أعددتُ نُوحاً وتعديداً وباكيةً ضِدّاً من الراح والرَيحان والعودِ
فأصبح الناس مسروراً بعيدهِمُ وزُرتُ فيكَ إلى نَوحٍ وتعديدِ
أصبحت في ترح والناسُ في فرح شتّان بيني وبين الناس في العيدِ

(«سلوة العارفين وأنس المشتاقين» لأبي خلف الطبري)

■ بيت الشعر القاتل

قال أبو نصر السراج يقول: كان سبب وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل في ودادك منزلاً تتحيّر الألبابُ عند نزوله

فتواجد النوريّ وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قُطعت وبقي أصولها مثل السيوف، فكان يمشي عليها ويعيد عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران، فتورّمت قدماه. ومات.

(«الرسالة القشيرية» للقشيري)

■ لدغ الرمّان

وحكي عن إبراهيم الخواص قال: كنت مرة في جبل لكّام، فرأيت رماناً، فاشتهيته، فأخذت منه واحدة، فشققتها، فوجدتها حامضة. فمضيت وتركتها. فرأيت رجلاً مطروحاً وقد اجتمعت عليه الزنابير. فقلت السلام عليك: فقال وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت كيف عرفتني؟ فقال من عرف الله عزّ وجلّ لم يخفَ عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله عزّ وجلّ، فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير؟ فقال: وأرى لك حالاً مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان، فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا. فتركته ومضيت.

■ صلاة المحبّين

قال سجف بن منصور: دخلت على رابعة وهي ساجدة، فلما أحسّت بمكاني رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها. فسلّمتُ فاقبلت عليّ فقالت: يا بُني الك حاجة؟ فقلتُ: جئتُ لأسلّم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك ودَعَت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفتُ.

(«صفوة الصفوة» لابن الجوزي)

■ والهة في وديان بيت المقدس

قال محمد بن سلمة: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيادي التي لا تُحصى، ويا ذا الجود والبقاء متّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعَل همّتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادماً وطالباً، وكن لي يا منوّر قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحباً. قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امراة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد وذوّبها الحب، وقتلها الوجد. فقلت لها: السلام عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون، فقلت: لا إله إلا الله كيف عرفت اسمي ولم تريني؟ قالت: كشف عن سري الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرّفني اسمَك. فقلت: ارجعي إلى مناجاتك، فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شرّ ما أجد، فقد استوحشت من الحياة. ثم خرّت ميتة. فبقيت متحيراً متفكراً. فاقبلت عجوز فنظرت إليها ثم قالت: الحمد لله الذي كرّمها. قلتُ: من هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربّها.

(«صفوة الصفوة» لابن الجوزي)

■ محب المحبين في قائمة جبريل

قال فارس النجار: بلغني أنّ إبراهيم بن أدهم رأى في المنام كأنّ جبريل عليه السلام قد نزل إلى الأرض، فقال له: لمَ نزلتَ إلى الأرض؟ قال: لأكتب المحبّين. قال: مثل من؟ قال: مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، وعدّ جماعات. قال: أنا منهم؟ قال: لا. فقلت: فإذا كتبتهم فاكتُبْ تحتهم محبّ للمحبين. فنزل الوحي: اكتبه أوّلهم.

(«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني)

■ سفر المشتاقين

قال شقيق البلخي: رأيتُ في طريق مكة مُقعداً يزحف على الأرض فقلتُ له: من أين أقبلتَ؟ قال: من سمرقند. قلتُ: فكم لك في الطريق؟ فذكر أعواماً تزيد على العشرة، فرفعت طرفي أنظر إليه متعجباً فقال لي: يا شقيق ما لك تنظر إليّ؟ فقلت متعجباً من ضعف مهجتك وبُعد سفرتك. فقال لي: يا شقيق، أما بُعد سفرتي فالشوق يقرّبها، وأما ضعف مهجتي فمولاي يجمّلها، يا شقيق أتَعْجَب من عبد ضعيفٍ يحمله المولى اللطيف؟ وأنشد يقول:

أزوركم والهوى صعب مسالكه
والشوق يحمل من لا مال يسعدُه
ليس المحب الذي يخشى مهالكه
كلا ولا شدة الأسفار تقعدُه

■ تعريف الحب

قيل لأعرابية ما الحب؟ قالت: أخفى من أن يرى، وأبين من أن يخفى، كمونه في الحشا كمون النار في الحجَر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى.

(«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين).

■ إفطار المحبين

قال جعفر بن نصر: أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوَزَيريّ فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور، فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال احملها، فقلت له في ذلك فقال: هتف بي هاتف، أما تستحي تركتها من أجلي ثم تعود إليها؟

(«إحياء علوم الدين» للغزالي)

■ نظرة في وجه المحبوب

قال أبو عبد الله الجلاء: كنت واقفاً أنظر إلى غلام نصراني حسن الوجه، كأنما أفرغ في قالب الجمال، فمرّ بي أبو عبد الله البلخي، فقال: أيش وقوفك هنا؟ فقلت: يا عم ما ترى هذه الصورة تعذّب في النار؟ فضرب بيده بين كتفيّ، قال لتجدن غبّها (عاقبتها) ولو بعد حين. قال: فوجدت غبّها بعد أربعين سنة، أنسيتُ القرآن.

(«تاريخ دمشق» لابن عساكر).

■ وجعلنا من الماء

من ألطف ما روينا في حال المحب عن شخص من المحبين دخل على بعض الشيوخ، فتكلّم الشيخ له على المحبة فما زال ذلك الشخص ينحل ويذوب ويسيل عرقاً حتى تحلّل جسمه كله وصار على الحصير بين يدي الشيخ بركة ماء ذاب كله، فدخل عليه صاحبه فلم يرَ عند الشيخ أحداً، فقال له أين فلان، فقال الشيخ هو ذا، وأشار إلى الماء ووصف حاله، فهذا تحليل غريب واستحالة عجيبة حيث لم يزل ينحف عن كثافته حتى عاد ماء فكان أولاً حياً بماء، فعاد الآن يحيي كل شيء لأن الله قال: «وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيّ»، فالمحب على هذا من يحيا به كل شيء.

(«الفتوحات المكية» لابن عربي)

■ صلاة المجنون

قال أبو عبد الله المغربي: كنت في الطواف، فرأيت ولهان المجنون وهو يقول: حبك قتلني، وشوقك ابقلقني، والاتصال بك أسقمني، فعدمت قلباً يحب غيرك وثكلت خواطر انست بسواك.

(«صفوة الصفوة» لابن الجوزي)

■ غفران المحبّ للمحبين

سمعت بندار بن الحسين يقول: رُئي مجنون بني عامر في المنام بعد موته، وكان قد استغرق في حبّ امراة وساح في البراري، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ما كان من الزلل، وجعلني حجة على المحبين.

(«الرسالة القشيرية» للقشيري)

■ له ثلاث ما رآني

حدثني أبو عبد الله الروذباري قال: دخلت درب الزعفراني، فرأيت فتى قد صرع شيخاً، وهو يكلمه ويعضّ حلقه، فقلت له: يا فتى أتفعل هذا بأبيك؟ وظننته أباه، فقال: دعني حتى أفرغ منه ثم أحدثك بقصتي، فلما فرغ قلت: يا فتى ما ذنبه؟ قال: إن هذا يزعم أنه يهواني، وله ثلاث ما رآني.

(«مصارع العشاق» للسراج البغدادي).

■ توهّمت انّك انّي

حكي أنّ بعض المتحابين ركبا البحر، فسقط أحدهما في البحر وغرق، فألقى الآخرُ نفسه في البحر، فغاص الغواصون فأخرجوهما سالمين. فقال الأول لصاحبه: أما أنا فسقطت في البحر، فأنت لمَ رميتَ نفسك؟ فأنشده: أنا غائبٌ بك عنّي، توهمت انّكَ انّي!

(«ديوان العشق الصوفي»، أمارجي، في ترجمة أبي عبد الرحمن السلمي)

■ شربة تقسّي القلب

قال أبو بكر الزقاق: تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً، فلمّا وافيت الطريق استقبلني جندي، فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها في قلبي ثلاثين سنة، وقيل إنّ أبا سعيد الخراز تكلّم في الورع، فمرّ بعباس بن المهتدي، فقال: يا أبا سعيد، تجلس تحت سقف أبي الدوانيق، وتشرب من بركة زبيدة وتتكلم في الورع، وأنشأ يقول:

وما تصنع بالسيف إذا لم تكُ قتّالا
فهلا صفتَ من حلية هذا السيف خلخالا

(«سلوة العارفين وأنس المشتاقين» لأبي خلف الطبري).

■ جفاف الثوب

حكي أن أبا يزيد (البسطامي) غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له، فقال له نعلّق الثوب في جدار الكروم، فقال: لا نضرب الوتد في جدار الناس، فقال: نعلّقه في الشجر، فقال: إنه يكسر الأغصان، فقال: نبسطه على الأرض، فقال: إنه علف الدواب لا نستره عنها، فولّى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره حتى جفّ جانبٌ ثم قلبَه حتى جفّ الجانب الآخر.

(«الرسالة القشيرية» للقشيري)

■ ذهبتُ وانا عمر ورجعتُ وانا عمر

روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبّه الغلام؟ فقال: هي أول نومة نامها، فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتاً، فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين! فقال: ذهبتُ وأنا عُمَرُ ورجعتُ وأنا عُمَرُ، ما نقص مني شيء.

(«إحياء علوم الدين» للغزالي)

■ موجود ليس بمفقود

كنت أسير في بعض حيطان البصرة، فرأيت شاباً مريضاً، أشعث أغبر، مستقبلاً للقبلة، يقول: قرة عيني طال شوقي إليك، وما أن ألقاك، فإلى متى تحبسني عنك؟ فقلت: يا شاب هذا الوقت الذي يطلب فيه الأحبة محبوبهم؟ فقال: الحبيب في كل الأوقات موجود، ليس بمفقود، بل هذا الوقت الذي تظهر الأحبة احتراقهم بحبيبهم، ويكشف المشتاقون كتمان سرائرهم، بهيجان نيران الاشتياق إلى مُناهم.

(«ديوان العشق الصوفي» لأمارجي، ترجمة مالك بن دينار)

■ إن كان فيها عتقُك فإن فيها رِقّي

أورد الإمام أبو الحسن يحيى بن نجاح في كتاب «سبل الخيرات» أنّ الخليفة أرسل إلى أبي ذر الغفاري صرة فيها نفقة على يد عبد له، وقال إنْ قبلها فأنت حرّ فأتاه بها فلم يقبلها، فقال اقبلْها يرحمك الله فإنّ فيها عتقي، فقال إنْ كان فيها عتقك فإنّ فيها رقّي.

(«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين)

شاهور بويان ــ «منصور الحلاج مشنوقاً» (مواد مختلطة على ورق هانيموك ــ 17,3 × 24,47 سنتم ــ 2018)

مقتطفات شعرية

روبرتو خواروس: كمثْل شجرة تسقط من ثمرة (*)

تقدّم هذه المختاراتُ إطلالةً على تجربة الشّاعر الأرجنتيني روبرتو خواروس، الذي يُعدُّ واحداً من أبرز شعراء أميركا اللّاتينيّة والشّعر المكتوب بالإسبانية في النصف الثاني من القرن العشرين. عاش خواروس حياة كاملة بالشّعر وللشّعر، بوصفه قدراً شخصيّاً وهوية وخياراً وجوديّاً. فشيّد على مدى عقودٍ صرحاً شعريّاً شاهقاً، شديد التفرّد، مناخاتٍ ولغةً واسلوباً. ولعلّ الفرادة في تجربة خواروس الشعريّة تتمثّل في ملمحين أساسيّين: أولهما أنّه يكاد يكون أكثر شعراء أميركا اللّاتينية «أوروبيّةً»، بفعل تأثّره بالزومنطيقيّين الألمان وانشغالاته الميتافيزيقية، من دون أن يحجب ذلك حضوراً ملموساً لروافد الشرق الروحيّة في نصوصه. وثانيهما أنّه امتاز عن كثيرٍ من شعراء القارّة بطبيعة شعره «المفكّر» والمتجرّد من أيّ التزام سياسيّ. عبر خمس عشرة مجموعة شعريّة، حملت جميعها عنواناً واحداً هو «شعر عموديّ» (شعر عموديّ أوّل، شعر عموديّ ثان، وثالث، وهكذا...) وخلت قصائدها من العناوين فبدت كأنّها كلٌّ واحد متماسك، اقترح خواروس معماراً شعريّاً تنتظم فيه القصائد حول استعارة مركزيّة هي «العموديّة» بوصفها تمثيلاً للوعي الإنساني المتأرجح بين حتمية السقوط والنزوع نحو المتعالي: «في وقت باكر من حياتي، شعرت أن الإنسان ينطوي على ميل حتميّ إلى السّقوط. فلا بدّ أن يسقط الإنسان، وعلينا أن نتقبل هذه الفكرة التي لا تكاد تحتمل؛ فكرة الإخفاق في عالم مندور لعبادة النجاح. غير أنّه لدى الإنسان، بالتناظر مع هذا السّقوط، نزوع نحو الأعلى، يسهم فيه الفكر واللّغة والحبّ، وكلّ إبداع. ثمّة حركة سقوط وارتفاع مزدوجة لدى الإنسان إذاً، أشبه بقانون جاذبيّة متناقض. وثمّة بعد عموديّ بين الحركتين... والشّعر هو الشرط لاحتمال الهاوية، فمن دونه لا يبقى سوى الدّوار والسّقوط».

هكذا، لا يعود الشّعر، عند خواروس، فنّاً لغوياً ومنتجاً جماليّاً فحسب، بل بديلاً للميتافيزيقا، يخلق المعنى ويضيء عتمة الوجود بسبره أعماقَ الأشياء، وارتياده المجهول الكامن في كلّ ما نتوهّم معرفته، من الكلام إلى الصّمت، ومن الضّوء إلى العتمة، ومن الحياة إلى الموت. وهو يرى أنّ مهمّة الشّعر تتجاوز الحفر في الواقع القائم إلى خلق واقع جديد غايته إعادة توحيد الذّات الإنسانية المتشظّية، وأنّ على الإنسان، الذي خُدع وضلّل طويلاً وانقسم على نفسه بفعل الأعراف الاجتماعية والانشغالات المادّية، وأضعفت قدرته على التخيّل والتأمل والرؤية بسبب الفصل بين الفلسفة والشعر، أن «يفكّر تارةً مثل عالم أو فيلسوف، وتارة أخرى مثل متصوّف، أو شاعر أو فنّان». أمّا الشاعر الحديث «فقدره أن يوحّد الفكر والعاطفة والخيال والحبّ والإبداع». ومن هذا المنطلق، كتب خواروس قصيدةً جمعت مقاربتين للوجود استقرّت الأعراف الأدبية على الفصل بينهما: الشّعر والفكر؛ قصيدةً انصهر فيها الاثنان في سبيكة واحدة، فلم تعد مجرّد قالب أو وعاء للفكر، بل ممارسة لغوية وفكرية وشعريّة تتجاوز الثنائيات الضديّة والتفكير الخطّي وتخلق زمنها «العموديّ» الخاص الذي يكسر رتابة اليوميّ وأفقيّته، كلّ ذلك بلغة صافية ودقيقة، تنأى عن العاطفيّة المفرطة والصّور المحلّقة والوصف المسهب، مثلما تخلو من نبرة الاحتجاج أو التبشير الإيديولوجي. وللوهلة الأولى، تتبدّى قصيدة خواروس ببنائها الصارم ولغتها الحادّة، كمنحوتة صخرية ملمومةٍ على نفسها، مغلّفة بالقسوة حيناً أو بالبرود، لكنّ القارئ لا يلبث أن يجد نفسه فجأة أمام صدع صغير فيها، تطلّ منه نبتة خضراء تحمل زهرة المعنى، فإذا بالصّخر يشفّ ويشّع بالضوء والجمال. هذه التجربة في قراءة خواروس وترجمته، هي ما نقدّمه للقارئ عبر المختارات المحكومة، قبل أي شيء، بذائقة المترجم الشخصيّة وانحيازاته الجماليّة

ترجمة وتقديم **وليد السويركي**

في سطور

روبرتو خواروس (بوينس آيرس ـ 1925-1995). درس الأدب والفلسفة في «جامعة بيونس آيرس»، وتخصّص في علوم المعلومات والمكتبات. أسّس مجلة «شعر= شعر» وأشرف عليها بين عامي 1958 و1965. اضطرّ لمغادرة الأرجنتين إلى المنفى في عهد الديكتاتور بيرون، فعمل خبيراً لدى اليونسكو في بلدان عدة في أميركا اللاتينيّة. ترأّس قسم المكتبات والتوثيق في «جامعة بوينس آيرس» بين عامي 1971 و1984. حاز العديد من الجوائز الأدبية، منها: «جائزة الشّعر الكبرى» التي يمنحها «إتحاد كتاب الأرجنتين»، و«جائزة جان ماليرو» الفرنسية، و«جائزة بينالي الشّعر الدولي» في ليبج (بلجيكا). تُرجمت أشعاره إلى أكثر من عشرين لغة. إلى جانب مجموعاته الشعريّة، أصدر عدداً من الكتب التنظيريّة والحوارات حول الشّعر منها: «الإخلاص للبرق»، و«الشّعر والإبداع»، و«الشّعر والواقع»، و«شذرات عموديّة». نشر مجموعته الشعريّة الأولى بعنوان «شِعر عموديّ أوّل» سنة 1958، على نفقته الخاصّة، وكان عليه أن ينتظر عشرين عاماً قبل أن يعثر على ناشر أرجنتينيّ حقيقيّ، إذ أصدرت دار Lohlé مختارات من أشعاره سنة 1978. حظي منجزه الشعريّ بتقدير شعراء وكتّاب من طراز أوكتافيو باث، وخوليو كورتاثار وريني شار، وغيرهم وبات محطّ عناية ودرس وترجمة في مختلف اللّغات، فتكرّس حضوره عالميّاً بوصفه أحد كبار شعراء العصر.

كان يرسم النّوافذ في كلّ مكان؛
على الجدران الشاهقة،
على الجدران الخفيضة جدّاً،
على الواجهات الخشنة،
في الزوايا،
في الهواء وحتّى على السّقوف،

كان يرسم النوافذ كما لو أنّه يرسم العصافير؛
على الأرض، على الليالي،
على النظرات التي نلمس صمتها،
على تخوم الموت،
على القبور وعلى الأشجار،

كان يرسم النّوافذ حتّى على الأبواب؛
ولم يرسم باباً قطّ.
فما كان يريد الدخول أو الخروج،
مدركاً أنّ ذلك غير مستطاع،
كان يريد فقط أن يرى: أن يرى،
كان يرسم النوافذ
في كلّ مكان.

■■■

فيما تفعل هذا الأمر أو ذاك،
هنالك من يموت،
فيما تلمّع حذاءك،
فيما تغرق في الكراهية،
فيما تكتب رسالةً مسهبةً
لحبّك الوحيد أو غير الوحيد؛

وحتّى لو استطعت ألّا تفعل شيئاً،
سيكون هنالك من يموت
وهو يجاهد عبثاً كي يجمع كلّ
الزوايا؛
وهو يجاهد عبثاً كيلا يثبّت نظره
في الجدار؛

حتّى لو كنت تموت الآن،
فسيكون هنالك شخص آخر يموت،
رغم رغبتك المشروعة بأن تموت
حصرياً للحظة؛
لذا، إذا ما سُئلتَ عن حال العالم،
فلتُجب ببساطة:
«هنالك من يموت الآن».

■■■

العالمُ ثاني طرفين في استعارةٍ ناقصة،
تشبيهٌ ضاع أوّل عنصرَيه،
أين هو إذاً ما كان مثل العالم؟

هل طار من العبارة
أم نحن من يشطبه؟
أم أنّ الاستعارة مبتورة منذ الأزل؟

■■■

سلطانُ النّسيان يجعلني أرى
كتابةً في السّماء
ودمعةً تولد على مهلٍ،

سلطان النّسيانِ يتيح لي
أنْ أسمعَك.

■■■

كلّ زمان ومكان يصلحان للقاء
بدينا،
والليل يبدو، زماناً ومكاناً، مُعدّاً
لذلك مسبقاً،
فالعتمة ليست عتمة ليدي،
والعتمة ضوءٌ ليديك.

■■■

ثمّة نداءات تدعوني إليك
بينما أنت لا تناديني؛
نداءاتك في الأمس
التي طفت على ماء الزّمن،
ونداءاتك في الغد
التي ربّما لن أسمعها غداً،
نداءاتك التي أخترع دون أن أدري،
حين تستشرس الوحدة،
أو نداءاتك
التي لا تأتي منك ولا منّي،
كما لو أنّ بيننا منطقة مستقلّة
تعمل لحسابها الخاص،
منطقةً لعلّنا خلقناها دون أن ندري
كي تقول اسمك
وربّما اسميَ أيضاً، دون حاجة إلينا.
على كلّ حال،
أنا محوط بنداءاتك، بدونك،
مثل جزيرة في البحر
أو برج في الرّيح العابرة،
فهل ستواصل نداءاتك دعوتي
حين نرحل كلانا؟

لا يحتاج الفم الفارغ إلى أحد
كي يواصل النّداء.

■■■

تودّين أحياناً
أن تبقي وحيدة في العالم،
فحتّى أنا تضيقين بي،
وحتّى أنت تضيقين بنفسك.

لا يكفي البقاء وحيداً،
ينبغي الذهاب أبعد:
أن يكون المرء أشدّ وحدة من ذاته.

ليس البقاء وحيداً؛ بل أن تكون
وحيداً؛
أن تكون وحيداً حتّى في الكينونة،
أن تكون وحيداً إلى أن لا تكون.

■■■

بتلةٌ تسقطُ
فتلامس فكرتي،
وأفكاري إذ تسقط،
هل ستلامسُ هي أيضاً بتلة؟

ينبغي أنْ تسقط الأفكارُ والبتلاتُ معاً
كما لو كانت بعضاً من الوردةِ ذاتها
أو كما لو أنّها ستكون كذلك، ربّما،
ذات يوم.

■■■

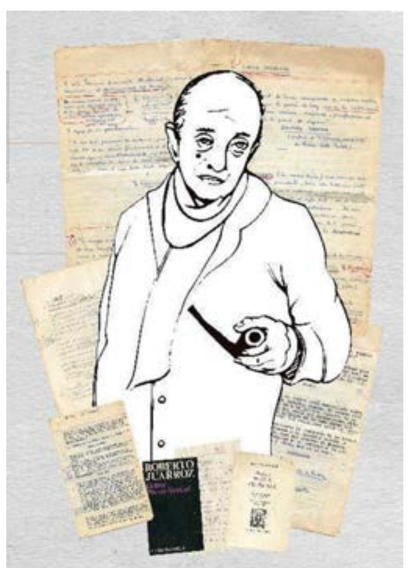

جمعُ مهجورْ
في كنيسة بلا أجراس،

قربَ ساحةٍ مهجورة،
في فضاءٍ بلا ظلال،

بهذا المكان كلّنا يعبر
أو ينتهي، أو يبدأ.

■■■

كلّ يدٍ تحدّد موضع غيمتها في
سماء مختلفة،
لكنّها تجدها ذات يوم في سماء
الجميع،
عندها فقط، يمكنها أن تغدو ثانيةً
قطعةَ الأرض الموعودة
التي كانتها قبل أن تكون يداً؛
وعندها فقط،
تمطر غيمتُها فوقها.

■■■

من الداخل أو من الخارج،
ينبغي نصبُ سلّمٍ،
لا بهمّ مَمّ صُنع،
ولا إنْ كان يصعد أو يهبط:
فالصّعود والهبوط دائماً ما يلتقيان،
ثمّ إنّ ما في الأعلى في الأسفل أيضاً،

المهمُّ ألّا يصاب المرء بالشّلل
في هذا الجزء الهامشيّ من الهاوية.

■■■

محتشدٌ بالرّيح الجرسُ
مع أنّه لا يدقّ،

محتشدٌ بالتحليق الطيرُ
مع أنّه لا يتحرّك،

محتشدةٌ بالغيوم السّماءُ
مع أنّها وحيدة،

محتشد بالصّوت الكلامُ،
مع أنّ أحداً لا يقولُه،

كلّ شيء محتشدٌ بالهرب
مع أنّه ما من دروب،

كلّ الأشياء تهرب صوب حضورها.

■■■

الكلمات التي تسمّيني!
لكنّ كلّ الكلمات تسمّيني
حين أحسنُ الإصغاء إليها،

والآن عليّ أن أتعلّم قولها
كي يشعر آخرون أنهم يُسمَّون
إنْ حدث وسمعوها؛

نحتاج إلى جميع الكلمات
كي نسمّي إنساناً،

والآن ليس سوى أن أواصل،
بدوري، هذا الاحتفال.

■■■

الثلاثةُ لا تُشبه الأربعة،
لكنّ هذه الأخيرةَ تحويها،
الحياةُ لا تشبه الموت
لكنّه يحويها،
أنت لا تشبهني
لكنّني أحويك؛

ربّما يجدر تغيير الاحتمالات،
فتحوي الثلاثةُ الأربعة،
وتحوي الحياةُ الموت
وتحويني أنت،

أو يساوي الكلُّ الكلَّ
فلا يحوي شيءٌ شيئاً.

■■■

يقلقني حين أنام
احتمال ألّا أجد نفسي حين أستيقظ،
لكنْ يقلقني أكثر احتمال أن لا أجدك،

يقلقني حين أنام
احتمالُ أن أستبدل أثناء نومي،
لكنْ يقلقني أكثر احتمال ألّا يعرف
أحدنا الآخر
عند يقظتي،

يقلقني حين أنام
احتمالُ ألّا يعود شيء يطابق شيئاً
عند اليقظة،
حتّى أنا وأنت،
لكنْ يقلقني أكثر بعد
أن يُمحى ماضينا
فلا نكون، أنا وأنت، قد وجدنا قطّ.

■■■

البحث عن شيء
يعني دائماً العثور على شيء آخر؛

لذا، للعثور على شيء ما،
ينبغي البحث عمّا ليس هو،

أن نبحث عن الطائر كي نجد الوردة،
أن نبحث عن الحب كي نجد المنفى،
أن نبحث عن اللاشيء لنكتشفَ
إنساناً،
ونذهب إلى الخلف كي نتقدّم.

فسرُّ الطريق في الطّبع الحادّ
لاتّجاهه المزدوج،
أكثر مَما هو في تشعباته،
بدايته الافتراضية أو نهايته
المشكوك فيها،

إنّنا نصل دوماً،
ولكنْ إلى مكان آخر،

كلّ شيء يمضي،
ولكنْ بالمقلوب.

(*) قصائد مختارة من كتاب صدر حديثاً بالعنوان نفسه عن «دار خطوط وظِلال»، عمّان.

قالوا عنه

رينيه شار: «روبرتو خواروس شاعر حقيقيّ عظيم»
أوكتافيو باث: «هو شاعر اللحظات المطلقة العظيم».
خوليو كورتاثار: «منذ وقت طويل لم أقرأ قصائد ترهقني وتثير حماستي، في آن، مثل هذه».
روجيه مونييه: «أنا أعدّ روبرتو خواروس واحداً من أعظم الشعراء في أميركا اللاتينية وفي عصرنا، بلا شك».
ألكسندر بيثنتي: «هذا شِعر ذو شفافية لاهبة».
فيليب جاكوتيه: «منذ السّطور الأولى، نسمع صوتاً مختلفاً، حاسماً، حادّاً وصارماً».

نصوص

فيض من ثقوب الناي

عبد العظيم فنجان *

كنتِ منيعةً ضدّ أوبئةِ الصّداقة، المدرسةِ أو الحب، وكنتُ أثبُ من على سياج نحافتي، لأكتملَ بكِ، لكنّ الهيكلَ العظميّ لعاصفتيْ سُرعانَ ما يتهدّمُ تحت ضربات ريشتكِ.
آه، لقد حفظتُ المعوذتيْن، أنا الكسولُ، من أجل أنْ أقراهُما، وأنفخهما بوجهكِ، كلما اشتعلتِ، لأنكِ يائسةٌ بدونِ سبب، ولم أعرفْ أنّكِ وُلدتِ غاضبةً، أصلاً، حتى من الله، لكنّه الحظ!
كنتِ مُحصّنةً فطرياً ضدّ العائلة، وكثيراً ما هربتِ وضبطوكِ جالسةً عند المُسنّاة، غاضبةً، ترمينَ الأحجارَ على النّهر، وكنتُ بابتسامتي، كلما عدتِ من أسفارِكِ الطائشة، أحاولُ أنْ أمسحَ عن وجهِكِ ذلك الأسى الغامضَ، أو تلكَ الدموعَ التي لم تُفلحْ في فرْكِ الضدأ عن قلب العالم.
لم أكنْ معهم، ولا ضدّكِ. كانَ قلبي يُحاولُ أنْ يُتقنَ الشكلَ الذي يُناسبكِ، لكنكِ كنتِ مجبولةً على أنْ تكسريه.

■■■

عليكِ السلام كلما فاضتْ من ثقوبِ الناي، حياتي.

■■■

بعد خطوات عدة تصل المدينةَ، لا تلوي على شيء، سوى أن تستعيدَ نشوةً غامضة اجتاحتكِ، وأنتِ تمشي، ذاتَ يوم، في أحد شوارعها، عندما طرقَ سمعكِ الناي يعزفُ امرأةً موحلةً تشرقُ بوجهها القمري، من بين البردي، حيث كان يعيشُ أجدادكِ...
مرورك ذاك كان عابراً، ثم صار مقيماً فيكِ، فاخذته معكِ إلى أهلكِ، وهناك، وأنتِ بينهم، شعرتِ بكِ منفيةً منذ الولادة...

■■■

كانوا يحبونكِ كما لو أنهم لم يحبوا من قبلكِ، هم الذين أحبوا قبائلَ من النساء، إضافة إلى طوائف من الصبايا، اجترحوا أوصافهنّ من الكتب، ومن أزقة الخيال، لكنهم أحبوكِ لأنهم أحبوكِ في كلّ امرأة، قال الشعر: إنها امرأة...
كانوا يحبونكِ، رغم أنهم يعرفونَ تماماً أنكِ لا تحبين أحداً، لأنهم كانوا يعثرون على خطوات بعضهم فوق أرض روحكِ، وكانوا يحبونكِ رغم ذلك، لأنهم يفهمونَ أنكِ مخلوقةٌ هشّة مثلهم.
كانوا يحبونكِ، وكانوا فوق ذلك يعلمونَ أنكِ ستهجرينهم دفعة واحدة، لذلك كانوا يتهيؤون، ويعزمون على أن يتيهوا وراءكِ في الأرض، حتى يعثروا على آثارك في المرافئ، وفي الحانات: في الأزقة والسفن والفنادق، لأنكِ امرأةٌ حقيقيةٌ جداً، كحقيقة أنكِ خرجتِ من هذه القصيدة، وتوزعتِ على القراء، في جميع العالم، رقةً وحناناً: روحاً وجسداً وقبلة.
كانوا واثقين أنهم سيجدونكِ، وأنهم سيَنتصبونَ على أكتاف بعضهم، لأنكِ ستلعبينَ اللعبة ذاتها في مكان آخر، وأن عشاقكِ سيكونون هناك، كما لو أنهم لم يحبوا من قبلكِ، هم الذين أحبوا قبائلَ من النساء، إضافة إلى طوائف من الحوريات والصبايا، اجترحوا أوصافهنّ من الكتب، ومن أزقة الخيال. سيلبثون هكذا، يتوالدونَ من خلالكِ: يتكاثرونَ في الفصول، في الثورات، وفي العواصف، وسيؤلفون عنكِ كتباً وأساطير وأغانيَ، وستلبثينَ خالدة: تنبعثين مع كل مطر يسقط فوقَ هامة الغريب، مع كلّ بحة ناي، ومع كلّ نافذة تفتحها العاصفة فتطيرُ العصافيرُ من ثيابهم المنشورة على حبال غسيل العالم. سيتوارونَ، في النسيان، غير عابئين، لأنهم كانوا يحبونكِ، كما لم يحبوا من قبل، هم الذين أحبوا قبائل من النساء، إضافة إلى طوائف من الحوريات والصبايا، اجترحوا أوصافهنّ من الكتب، ومن أزقة الخيال، لكنهم أحبوكِ لأنهم أحبوكِ في كل امرأة قال الشعر: إنها امرأة.

* كركوك/ العراق

فرانسيس بيكابيا ـ «ميلينيا» (زيت على قماش، 1931).

مات كثيراً ولم تنقص المساحة في المقبرة

سرمد سليم *

مرحباً
اسمي رنا:
عمري ثلاث عشرة سنة، ابنة شاعر يُعاني من اضطراب الهوس الضاحك، نعيش سويّة، وحيدين تقريباً، في منزل يضجّ برائحة الخمر وصوت فيروز ليلاً وعبد الباسط صباحاً، أبي يحبُّ الحياة من طرف واحد منذ سنينٍ طويلةٍ والعزلة أيضاً.
اسمي رنا:
لم أدخل المدرسة؛ لأن أبي يعتقد بأنها مكانٌ للنسيان وللتعرّف على أصدقاء السوء والمعلمين الفاشلين ذوي البطون الكبيرة، هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يفتحون النوافذ. يتحدثون كالببغاوات، ولا يتركون لنا فرصة لنقول لهم: أنتم على خطأ.
اسمي رنا:
أعيش الآن في قريةٍ صغيرة، لنا جارةٌ تُدعى كامو، السيدة كامو امرأة ثلاثينية طلّقتْ زوجها يوم 2016/10/10 وراحتْ تربّي كلباً أبيض، كلّما شعرتْ بالحاجة إلى شيء ما، حلبتْهُ لها من أحد منازل الجيران، مرةً عندما كانت تشعرُ بالجوع ذهبَ إلى بيت أم حبيب وعاد بـ «طنجرة الدولمة». وعندما أرادتْ أن تتذكّر عيد زواجها عضّ الكلب أبي وهو في طريق العودة من الحانة، وفي الوقت الذي زار الشرطي السيدة كامو؛ ليبلغها بضرورة الحضور إلى المخفر للتحقيق بسبب عدم دفعها فواتير الماء والكهرباء منذ أربع سنوات، لم يستطع الوصول إلى باب منزلها، فاضطر أن يستعمل مُكبّر صوت (يبدو هذا الكلب شبيهي: أنا أيضاً أكرهُ الشرطة). تذكّر أيضاً... أراد أحدهم قتلَ الكلب، حمل مسدساً وراح يبحث عنهُ، كم كان غبياً؟! كان الكلبُ يمضي خلفه ولم ينتبه، واستمرتْ الحال لأشهر عدّة إلى أن سمعنا خبر انتحار رجلٍ برصاصةٍ في الرأس.
اسمي رنا:
نجح الكلبُ في أن يوفّر كل شيء للسيدة كامو حين عجز أبي.
اسمي رنا:
وأودّ عندما أكبرُ أن أعيشَ في منزل ريفي برفقة كلب، الزواج قرارٌ أحمقُ ومؤسسة فاشلة.
اسمي رنا:
أبي لم يكن صالحاً للزواج، وكذلك للحياة.
بعد سنوات، ستكبرُ هذه الطفلة، ستفتحُ مكتبةً بلاد بعيدة، وعلى الأغلب ألمانيا، تبيع فيها كتباً عن أعداد المقابر الجماعيّة، وأسماء السبايا الأيزيديّات، والأرامل، وسيرة نادية مراد، وديوان شعرٍ فيه ارتكاب لغوي واضح لسعد شفّانْ، ونفسها أيضاً، للألمان، الألمان يا حبيبتي، لا يهتمون للتاريخ، والمعاناة، والشعر، إنهم وقتيّون جداً لدرجة قد يدفع أحدهم 40$ للمرأة مقابل ليلة واحدة، وينسى نيتشه، لذا انصحكِ بزيارة طبيبة نسائية خلال هذا الأسبوع.

* شنكال/ العراق

صورة بانورامية لشنكال (وكالة pukmedia)

دراسة

أنور الهواري: تعالوا نروّض الاستبداد

خليل صويلح

يحيل كتاب «ترويض الاستبداد» بتوقيع أنور الهواري (دار روافد- القاهرة) إلى النسخة الأولى من تفكيك ظاهرة الاستبداد التي ترمي بثقلها تاريخياً على هذه الجغرافيا المحزونة. نقصد كتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» للمفكّر الحلبي عبد الرحمن الكواكبي الذي مات مسموماً في القاهرة مطلع القرن العشرين. ورغم المسافة بين الكتابين في معالجة هذا «الداء»، إلا أنهما يلتقيان في نقطة واحدة هي أنّ «الاستبداد أصل لكل فساد». يبدو الهواري هنا متهوراً في اقتحام المناطق الشائكة وحراثة التربة المستقرة، متخذاً من التاريخ المصري نموذجاً في مواجهة الأسئلة التي تتعلق بالحرية والثورات والديكتاتورية من جهة، والمخاضات العسيرة لفكرة الديموقراطية من جهة ثانية. تتناوب المشهد ديكتاتوريات صلبة، وديموقراطيات هشّة، ذلك أن البنية التحتية للديكتاتورية أكثر قوة، نظراً إلى عطب في «بنية العقل العام»، فالديموقراطية «سلعة» غير مرغوبة، تنتصر عليها فكرة الاستقرار، ومنظومة الأعراف المتوارثة، كما أنها تعيش على الهامش ذهنياً وروحياً، وهو ما يعيد السؤال مجدداً حول «موقع الديكتاتورية الوطنية ودورها التاريخي في رعاية التخلّف وحراسته من منتصف القرن العشرين حتى خاتمة الربع الأول من القرن الحادي والعشرين». هكذا بدت «حرية الكلام» ضرباً من الأحلام المستحيلة، وإذا بالعقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم ينحصر في كلمتين: «الصمت مقابل الأمان» أو الطاعة في مقابل الاستقرار».

هذا ما أفرزته ثورة 23 يوليو 1952، ثم ثورة 3 يوليو 2013، إذ اعتبر العسكر أنفسهم أصحاب رسالة أخلاقية وليسوا أصحاب مطامع سياسية، لكن مهمة الإنقاذ الوطني هذه ستتخذ مسلكاً آخر لا يشبه المقدمات التي أتت بهم إلى السلطة، فهم معصومون عن الخطأ. يتتبّع صاحب «الديكتاتورية الجديدة» مصير الفرد في مجتمع محكوم بعنف السلطة، فما يحصل عليه طوال عمره شهادة ولادة ثم شهادة وفاة. أما «شهادة المواطنة»، فتقع في باب «رعايا لا مواطنين» في ظل حكم فردي مطلق، تليه فترة انتقالية قصيرة، ليستأنف مسيرة الاستبداد «لزوم إنجاز العودة إلى المربع صفر» في متاهة لا نهائية. يرصد الصحافي المصري بروح استقصائية التحولات الدراماتيكية التي شهدتها بلاده ما بعد ثورة يناير 2011 وما تلاها، واصفاً العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين بأنها انتقلت بالبلاد من النقيض إلى النقيض، أو من «الحرية السائبة إلى الاضطهاد المتدرج المنظم المحكم بعد 30 يونيو 2013». وبمراة أخرى، سقطت ديكتاتورية الحاكم الفرد لتحل محلها ديكتاتورية الثوار والنشطاء، ما خلق «حالة من الصداع العام كادت تنفلق منها دماغ البلد». وإذا بالحرية السائبة تسبح في الفراغ من دون بوصلة تهديها إلى الجهة الصحيحة، بإصلاح الدولة من الداخل عن طريق استخدام الزخم الشعبي، خلافاً لأحلام «خلق دولة من الميدان»، وهو ما يعني «دولة هواة» مقابل «دولة طغاة». أمر أوقع حكم الإخوان المسلمين في مأزق بخصوص إدارة الدولة لافتقادهم الخبرة والمعرفة، ذلك أن فكرة الجماعة وفكرة الدولة لا تلتقيان. على المقلب الآخر، تحضر مسألة الحرية بقوة كمحصّلة طويلة للكفاح الشعبي من أجلها. صحيح أنها لم تزل في المهد، ومجرد بند نظري في الدستور، إلا أن ذلك لا يعني غيابها التام، فالتراث النظري المتراكم منذ الثورة العرابية إلى اليوم يشكّل «نصف الطريق إلى الحرية»، من دون تجاهل عمليات التكيّل بها وضبطها وإحضارها والتحقيق معها ومحاكمتها، فكانت النتيجة «رفع الحرية من الخدمة الفعلية تماماً» من خلال إعادة «هندسة وبرمجة كل مؤسسات الدولة والمجتمع وفقاً لتصميم مُحكم يعتبر الحرية مكوناً لا لزوم له». لكن كيف يتفق دستور ليبرالي ديموقراطي مع حكم فردي؟ يجيب بأن فكرة الاستقرار هي نافذة الحكم المطلق في السيطرة على البلاد بمبررات واقعية وأخرى مزيّفة، ما أدى إلى اندحار الديموقراطية خلفاً لدرجة الخوف منها خشية الانزلاق إلى الفوضى، وهو ما أنتج «طبعة جديدة من الاستبداد والديكتاتورية بوصفها حقاً وطنياً»، وبذريعة الخوف على الدولة من الديموقراطية التي لم تولد ولم تحكم يوماً. يقترح أنور الهواري النظر إلى 25 يناير باثر رجعي، بعد مرور عقد كامل على هبوبها، معتبراً إياها أهم حدث مصري شهده هذا القرن لجهة الإقامة لا الزوال، إذ يطرح سؤالاً جوهرياً هو: ملكية مصر لمن؟ فقد كانت هذه الثورة بمثابة صاعقة - لمن كان يحلم بوراثة الحكم- بإسقاطها هذه المنظومة، في حين أنها- في المقابل- فشلت في إفراز برنامج بديل يضيء طريقها نحو المستقبل. ذلك أنّ الشعب بات كمن «أضاع محفظة نقوده في شبرا ثم راح يفتش عنها في باب اللوق» يقول. بمثل هذه الروح الشعبية، يرسم الباحث خريطة لتضاريس الحالة المصرية مستعرضاً مكمن القوة من جهة، وهشاشة اللحظة، من جهة ثانية. وإذا بالبلاد تتحوّل من «مجرد ديار مصرية إلى وطن للمصريين»، سواء في ثوراتها القديمة أم في ثورتها الأخيرة، من دون أن تتمكن الديموقراطية يوماً، من التخلّص من الإعاقة التي واجهتها في مختلف المراحل. فلطالما استحوذ الحكّام على السلطة المطلقة، فلا فرق واضحاً بين الحكم الملكي أو الحكم الجمهوري في هذا السياق. هكذا يستعرض دولة محمد علي باشا وعهد حفيده الخديوي إسماعيل الذي أثقل الدولة بالديون والقروض والوصاية الخارجية، ما أدى إلى خلعه من الحكم لمصلحة ابنه، من دون أن يحقق حلمه الإمبراطوري: «لا فرق بين باشا وخديوي وسلطان وملك ورئيس جمهورية قديمة أو جديدة».

في فحص مسار الديموقراطية، لن نجد فسحة هواء لهذا المصطلح عدا لحظات نادرة، فالحفاظ على البنية التحتية للديكتاتورية خنق هذه الكلمة الملعونة طوال تاريخ الدولة الحديثة عن طريق تقنين وشرعنة آليات انتقال السلطة من حاكم سابق إلى حاكم لاحق، فالدولة «كانت وما زالت تعتقد عن يقين أن الديموقراطية لم يأتِ أوانها بعد»، وهو ما فسح المجال لـ «الديكتاتورية التصاعدية» كملمح أساسي منذ تأسيسها الأول على يد محمد علي باشا في القرن التاسع عشر، ثم على يد جمال عبد الناصر، وصولاً إلى «الجمهورية الجديدة»، إذ أغلق القفص على الشعب تماماً، وتحوّل الحلم إلى كابوس. لكن أنور الهواري لا يعدم الأمل ببزوغ لحظة مضادة توازي المئة ساعة التي فجّرت ثورة الميدان، داعياً إلى «التدريب على الحرية بديلاً عن مصادرتها». ويؤكد أن «ثورة 25 يناير، لم تكن غلطة تاريخية ولا ثمرة خطيئة ولا ابنة سفاح سياسي غير مشروع».

يرصد التحولات الدراماتيكية التي شهدتها بلاده ما بعد ثورة يناير 2011

رواية

حسن داوود: استدراك الأيام في آخرها

ساري موسى

يرصد الروائي اللبناني حسن داوود، في «فرصة لغرام أخير» نوفل – هاشيت أنطوان)، التغيّرات التي طرأت على حياة الناس وسلوكياتهم خلال فترة الإغلاق التام والالتزام داخل البيوت، التي أعقبت انتشار فيروس كورونا عبر العالم، من دون مباشرة يقع فيها بعض الكُتّاب عند تناولهم أحداثاً كبرى، إذ يقوم داوود بذلك من خلال ثلاثة نماذج لأشخاص متفاوتي الوحدة، غيّرتهم الوحدة الجديدة المرتبطة بالوباء والموت، دافعةً إياهم إلى العيش والمغامرة في ردّ فعل عكسي، ومُخرجةً منهم جوانب لم يعهدوها في أنفسهم، أو ظنّوا أنهم ودّعوها بعدما أصبحوا في عمر متقدّم.

الكاتب الذي يقوّي وقع أفعال شخصياته بإيراد فعل ناقص معقوباً بفعل تام، يبرع في السرد من داخل الغرف التي ضاقت بساكنيها، كما برع في التنقّل في مدى حياة كاملة لأبطال رواياته السابقة، مثل العجوز الذي ضلّه الموت في «أيام زائدة»، والشيخ المريض والمتخلّى عن عمامته في «لا طريق إلى الجنة»، مستخدماً في ذلك تقنية تعدد أصوات الرواة، الذين يحكي كلٌّ منهم ما يراه من نافذته، في فصول قصيرة رشيقة، ما يجعلنا نرى المشهد ذاته مرتين أحياناً ومن زاويتين مختلفتين. أمر يرسّخه في الذهن، قبل أن يبدأ من يُروننا إياه بالخروج والتقابل بل التعارف الجديد، مستخفّين بالمرض ومستهترين بخطر الإصابة به، أو ناسين إياه رغم حذرهم الشديد منه في بدايته.

لا تعلم الشخصيات للوهلة الأولى أنها في استراقها النظر إلى حياة الآخرين، إنما ترى نفسها وتراقب أفعالها وتقف أمام حقيقتها العارية، فالخائف سيصل إلى اللحظة التي ينكشف فيها خوفه، والمستهتر استهتاره، والراغب في العيش توقه إلى الحياة ورغبته في استدراك أيامه. يكون عزّت منذ البداية الأكثر تلصصاً ورصداً للواقع الجديد، على الطرقات وداخل بيوت الأبنية المقابلة لشقته، كما يظلّ الأدق ملاحظة والأنجح في استشراف التغيرات التي ستحصل، إذ تُنقل الوحدة التي لم يعتدها عليه، بعدما فاتته الطائرة إلى أستراليا حيث تعيش ابنته وحيث سبقته زوجته، بسبب إغلاق المطار وتعطّل حركة الملاحة الجوية. يُكثر من الاتصال الهاتفي بتامر، زميله من أيام الدراسة الجامعية وجاره في البناية نفسها، الذي يعيش وحيداً في الأصل بعد طلاقه.

تُعيد امرأة في البناية المقابلة الكهلَيْن إلى أيام تعارفهما الأولى، بل إلى فترة المراهقة التي سبقتها في بعض المواقف، وتتحول إلى محرّك للسرد، فأحاديث عزت وتامر تتمحور حولها وتحاول تفسير تصرفاتها وإيماءاتها، بعدما لجأ عزّت الذي رأى شبحها أولاً إلى صديقه لإرشاده في كيفية التعامل معها، ثم صار يضعه في صورة ما يتبادلانه من أحاديث، ويتباهى أمامه بما يجري بينهما خلال لقاءاتهما، قبل أن يبدأ بالابتعاد عنه عندما يتحول فضول تامر إلى تدخل مزعج.

لا يخفف من وحدة إلسا كونها تعيش مع حماتها وخادمتها الإثيوبية، بل يجعلها نوعاً آخر من الوحدة، وحدة وسط آخرين فُرض عليها العيش معهم، إذ اختفى زوجها في أفريقيا من دون ما يؤكّد خبر موته، بعد سنوات من تركه لها، وسنوات سابقة من التناوب بين الاستقرار في البلد والتنقّل بين البلدان ونسائها. يخرج جسد إلسا الذي لم يبلغ الأربعين من حرمانه، كأنّ الموت المحيط والمجاور أيقظ فيه الحياة التي كانت مغيّبة ومدفونة تحت الجلد الأبيض الزهري، ولا يرتوي من رجل واحد شاءت الظروف أن يكون غير قادر على الإرواء. ولم يشأ أن يضيّع «الفرصة الساحة»، التي اندفعا إليها من دون حسابات، مدفوعَين بملل السّجن وحصار الموت. تولّد علاقة عزّت وإلسا التي يعرف تامر تفاصيلها الدقيقة غيرة لديه، ما يجعله يُعيد التواصل مع دينا، زميلته في الجامعة وآخر امرأة كانت له علاقة بها. تتشتت هذه العلاقة منذ بداياتها بسبب عجز تامر عن عدم إقامة مقارنة بين الجسد الحاضر لدينا، والجسد الذي كان لها في شبابها المبكر، كما بتأثير من تقرّب إلسا منه بعدما لفتها الألق الذي طالعها في صور ماضيه، وإثر إبعادها عزت عنها، أو انتهاء «الغرام الخفيف» كما وصفه هذا الأخير.

تقطع الخادمة ساماواتي التناوب في السرد الثلاثي، من خلال مقاطع قصيرة تحكيها بلغتها العربية الخاصة، مبرزة بذلك التشابه في لغة الأصوات الثلاثة الأخرى وأسلوب سردها، مع الإشارة إلى أن الصوت الخاص لساماواتي لا يجيء من لهجتها فقط، بل كذلك من نمط تفكيرها البسيط والخائف. يأتي تدخلها في السرد مرةً لتوضح أنّها تلاحظ التغيّر الذي دخل إلى حياة إلسا، هي التي لا ترى بعينيها فقط، بل بعيون كل زميلاتها في البيوت المجاورة، ومرة أخرى ليضيء داوود من خلالها على الظلم الذي تعرّضت له هؤلاء الخادمات، بعدما تخلّت عنهن الأسر التي يعملن عندها خوفاً من حملهن للوباء، أو أنهن من قرون الهرب بأنفسهن كما فعلت ساماواتي، بعدما اضطرت لتقوم بدور الممرضة الذي لا تجيده عند إصابة العجوز عطّاف بالفيروس، ليتشردن بعد ذلك في الشوارع ويبتن تحت الجسور، قبل القبض عليهن وإحالتهن إلى بلدهن.

في نهاية الرواية، تعود الأوضاع الشخصية للشخصيات الثلاث إلى ما كانت عليه قبل بدايتها؛ تستمر إلسا في انتظار زوجها الغائب، الذي يتساوى احتمالا عودته وعدم عودته، ويتخلّى تامر عن عزمه العودة إلى الكتابة، مع بقائه وفياً لمخيلة الكاتب التي تُتمّم فيها الأشياء وتتحقق الأماني، على عكس ما يجري على أرض الواقع، فيما يحافظ عزّت على دأبه في ترصّد أحوال الناس ومراقبة طباعهم المتغيرة، بعدما صار يملأ وقته إثر ابتعاده عن تامر وإلسا بجولات مشي طويلة في شوارع المدينة، التي بدأت تعود إليها الحياة تدريجياً. كأن كل ما شهدته الرواية من أحداث لم يكن إلا وقتاً مستقطعاً من عمر الزمن الثقيل للوباء، أو فترة لهو أتاحتها رغبةٌ في تفسير المسائل بحسب أهواء من تتعلق بهم.

يرصد التغيرات التي طرأت على الناس خلال فترة الإغلاق التام جراء فيروس كورونا

شعر

علاء خالد يطأ أرض العدم

مهند عبد العظيم

كل ما يكتبه وكتبه علاء خالد (1960) يُعد شعراً، حتى في رواياته بحيطك بأسلوبه الشعري، بدءاً من ديوانه الأول «الجسد عالق بمشيئة حبر» وصولاً إلى ديوانه الجديد «العدم أيضاً مكان حنين» (الهيئة المصرية العامة للكتاب). قسم الكاتب المصري ديوانه إلى ثلاثة أجزاء: «الحياة التي اتّخذت هيئة جسمي»، «مقعد مسافر»، «بعدي» رغم اختلاف شكل القصائد في الأجزاء الثلاثة. في الجزء الأول، تُكتب قصيدة نثر بدون عنوان، ثم في الجزء الثاني تُكتب القصائد على هيئة نصوص. أما في الجزء الثالث، فتتخذ القصائد عناوين، لكنّ ثمة تشابهاً في الأجزاء الثلاثة، فشعره يقطر عليك قطرة قطرة، حتى يغمرك من كل الجهات.

يفتتح علاء خالد ديوانه بقصيدة يقول فيها: «الحياة التي أحملها معي/ الحياة التي اتّخذت هيئة جسمي/ الحياة التي أصعد بها على الرصيف خوفاً من العربات المسرعة/ الحياة التي أغطيها بواقٍ شفاف/ الحياة التي يدق المطر على سقفها بقوة/ الحياة التي أصبح بيني وبينها حائط زجاجي/ أنظر إليها اليوم كوديعة بعد أن كانت بالأمس القريب عضواً من أعضائي». يبدأ خالد من النهاية، بذكر لحظة حدوث الانفصال، لحظة الذهاب إلى العدم، وكأنه بذلك يمهد للقارئ الاندماج مع خلق مكان اسمه «العدم»، لكنه مكان بلا زمن وبلا حنين، مكان لا يستطيع القارئ تخيّل معالمه، لكنه بسهولة يدخل إليه.

أخضع علاء خالد المكان إلى سُلطة الشعر، جعل القصيدة مكاناً يسكنه القارئ، وجعل من العدم صورةً يتتبعها القارئ في جميع قصائد الديوان، توقظ فيه مشاعره، ولا يفرض الشاعر سُلطته على القارئ في رحلته إلى مكان بلا معالم ولا زمن. فالقارئ الذي يتتبع رحلة خالد إلى العدم، سيستمع إلى أصداء مشاعره في كل لحظة في الرحلة. يصبح العدم القبضة الشاعرية التي تلتقط الوجود الكلي للقارئ، والشاعرية لا تأتي من الحنين، بل تأتي من أن العدم أصبح عدسة ترصد الحياة، عدسة رصد للوجود، عدسة ترصد لا تحن إلى أي شيء بعينه.

يحيلنا الجزء الأول من الديوان في نهايته إلى التفكير في ثنائية الحب والموت، والصراع بينهما، التي صوّرته الميثولوجيا اليونانية والرومانية في صورة الآلهة إيروس وثاناتوس، لكن ما صوّره علاء خالد في نهاية الجزء الأول من ديوانه ليس صراعاً، بمعنى أنه جعل الاثنين متساويين، لم يرجح أي كفة منهما. يكتب في نهاية الجزء الأول: «كنا وما زلنا وسنكون بعدة أوجه وحيوات/ دون أن أخونك أو تخونني/ دون أن أهجرك أو تهجريني/ حياتُنا تهرب منا في الليل/ تتبدّل وجوهنا في مقايضة/ ولكن قلبنا كما هو واحد/ النّدبة الخالدة التي سنعود إليها لنتعرف على أنفسنا». وربما كلمة الصراع تحمل في معانيها إعلان فائزٍ ومهزوم، لكنّ علاء خالد فهم قوانين لعبة الوجود في رحلته إلى العدم، وأدرك أن الحب ربما هو ندبة في جبين الحياة، ندبة تفرض سُلطتها على صراع بلا منتصر ولا مهزوم. ندبة تتشابه مع الموت. كلاهما يقطر شعراً، لذا لم يهمه أيّهما أقوى، لأنه أدرك كما يكتب في إحدى قصائد الديوان: «الله قام أمام العدم/ الحب قام أمام العدم/ العدم الذي لم يترك إلهاً أو قلباً أو حباً/ إلا وألقى في ترابه بتلك البذور الجافة»، ومن إدراكه هذا أنبت من رحلته إلى العدم شعراً.

في مشوار خالد الشعري، دواوين سيطرت عليها نبرة الرثاء لمن فقدهم في حياته مثل «تصبحين على خير/ تحت شمس ذاكرة أخرى» الذي كان رثاء لأمّه. لكنه في ديوانه الأخير يفقد ذاته، ويخرج منها. افتتح ديوانه الأول «الجسد عالق بمشيئة حبر» (1990)، بقول ميشال فوكو: «ينبغي أن أفترض أنّ خطابي هذا لا يؤمن لي طول البقاء. وإنني إذا أتكلم لا أتحاشى موتي وإنما أؤسسه، أو بالأحرى أنني أزيل كل داخلية في هذا الخارج الذي لا يقيم أي فرق بين حياتي وموتي». لعلّ علاء خالد أكثر من ثلاثين عاماً ليفقد ذاته وهويته، أو يحقق نبوءة فوكو، كي يكتب شعراً لا عن ذاته، بل عن فقدها. يكتب في قصيدة بعنوان «النوم في الفندق»: «ربما جئت الحياة لأحترف النوم في الفنادق، للدخول في هذه الهوية الأخرى نائماً، لأضع غشاء رقيقاً على هذه الذكريات». كتب شعراً لا يُعد رثاءً لفقد الذات فقط، بل رثاءً للحياة نفسها، شعراً يجرب فيه شعور الأعمى الذي تمنى أن يجربه في الحياة، وفي آخر قصائد ديوانه التي عنونها «شعور الأعمى».

فقد الذات والهوية ذلك يحيلنا إلى أحد دواوين الشاعر اللبناني وديع سعادة (1948) بعنوان «نص الغياب»، حيث كتب أنّ «زمن الكتابة زمن الغياب، مكان الكتابة عدم المكان». وفي كتابه «جماليات المكان»، يوضح باشلار: «إننا لا نُلمس إلا القليل، أو لا شيء على الإطلاق، من الحركة في مشتقات قواعد اللغة أو في الاستدلال والاستقراء. حتى الأفعال تتجمّد مثل الأسماء، الصور وحدها هي التي تدفع الأفعال إلى الحركة». وإذا قيّمنا الشعر من خلال هذه الإحالات، وتحديداً إحالة باشلار، نجد أنّ هذا ما نجح علاء خالد في تقديمه في ديوانه «العدم أيضاً مكان حنين» الحائز «جائزة الشعر الفصحى» في «معرض القاهرة للكتاب» الأخير.

جعل من العدم صورةً يتتبعها القارئ في قصائد الديوان

لمحات

سعد سلوم

في «ديناميات الهوية: نهاية وانبعاث النّوع في الشّرق الأوسط» (دار الرافدين)، يدعو سعد سلوم إلى ثورة ضد النّهج الحصري لحريّة المعتقد، لأنّه يتعارض مع حقوق الإنسان واحترام الكرامة الإنسانية للجميع. يتألف الكتاب من أربعة أقسام مختلفة. يشير الكاتب في القسم الأول إلى براديغمات مهيمنة تُخيّم على تغطية قضايا الأقليات في الشرق الأوسط، بسبب الأدبيات التي تناولها المبشّرون الغربيون والمستشرقون والأنثروبولوجيون. يدعو الباحث إلى إعادة اكتشاف التنوع الغنيّ في المنطقة ودراسة علاقة الأقليّات بالسّياق السّياسي والاجتماعي وحراكها الداخلي الفعّال. يُخصص سلوم القسم الثاني لتحليل التهديد الأكبر الذي يواجه التنوع الدينيّ في ضوء تطور خطابات الكراهية في العصر الرقمي والتحريض على إبادة الأقليّات. يُكرّس القسم الثالث لتوضيح فكرة استثمار التّنوع المجتمعي ونبذ سياسات الإدماج القسري في هويّة رسميّة واحدة. وأخيراً جاء القسم الرابع كمحاولة لتدارك مخاطر نهاية التّنوع من خلال مسارات متعدّدة وضرورة اعتبار التنوع الديني عامل قوة ومصدر ثروة دائمة لبلدان المنطقة.

أورهان باموق

صدرت حديثاً عن «دار الشروق» المصرية - اللبنانية رواية «ليالي الوباء» (2021) للكاتب التركي الفائز بجائزة «نوبل» أورهان باموق بترجمة جهاد الأماسي. تحكي الرواية قصّة فريق يسعى إلى وقف انتشار وباء الطاعون في جزيرة منغر؛ الولاية التاسعة والعشرين للإمبراطورية العثمانية، إلى جانب محاربة العادات والتقاليد البالية في تلك البقعة النائية. كما تتناول الرواية هواجس هؤلاء الناس وقصص حبّهم وعذاباتهم. «ليالي الوباء» رواية تاريخية تقدّم مشهداً بانورامياً للأيام الأخيرة للإمبراطورية العثمانية أثناء ولاية السلطان عبد الحميد الثاني، وتختلط فيها الأحداث الواقعية بالتخييل الروائي، وتنشغل بمشكلات الحجر الصحّي والخوف من الموت والغضب على الدولة المركزية. يُذكر أنّ هذه الرواية أثارت ضجة كبيرة فور صدورها، وأوصلت الكاتب إلى ساحات المحاكم التركية، إذ اتُّهم بإهانة مؤسّس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك من خلال ابتكار شخصية تُدعى كول أغاسي كامل، حيث أظهر بامرق هذا الضابط بصفات تشبه صفات أتاتورك، وتتقاطع مع بعض تفاصيل حياته الشخصية.

جمال حجازي

يُصغي الشاعر اللبناني جمال حجازي بمتعة واهتمام بالغ للطبيعة وعناصرها في ديوانه «صهوة الشّعب» الصّادر حديثاً عن «دار البيان العربي». يفتح الشّاعر، المُحبّ للأرض حتى الانصهار، المساحات كلها كي يصل صدى الطبيعة إلى كل خلايا جسده المشتاق لعبير الزهور ورائحة التراب. تزدان قصائد الدّيوان بلغة بسيطة وعميقة وصريحة تنساب بحريّة الطير وعذوبة الماء ورقّة النسيم. يعي الشاعر تماماً العلاقة بين القصيدة والطبيعة والإنسان، ويعيشها بكل سلاسة وانسياب وتلقائية، عازفاً حروفه السّحرية على إيقاع هذا التعايش المنسجم، المتناغم بينها، حاملاً في قصائده الجميلة عطر الحقول وصدى الغابة وحفيف أوراق الشجر وصوت النهر. تتغنّى أشعار حجازي العذبة بمواسم الأرض وأمجادها وشموخها، وتنقل أبياته الدافئة همس الهواء، حفيف أوراق الشجر، صدى نايات الرعاة، تيجان الورود، وديمة الغيم. أما حالة الشاعر ودواخل نفسه، وفكره وعواطفه فتتجلى في قصائده من خلال إحساسه الخاص تجاه الطبيعة التي يلتحم بها ويجد فيها ملاذاً ومعرفة وإلهاماً، كأن الشجر، الغيم، النهر، العصافير وكلّ ما فيها هي أبجديته الأولى.

عبدالله حمودي

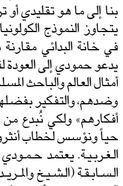

يتابع الباحث المغربي المعروف والأستاذ في «جامعة برنستون» عبدالله حمودي في كتابه «ما قبل الحداثة: اجتهادات في تصور علوم اجتماعية عربية» (دار توبقال) مشروعه الفكري الرامي إلى بناء علم اجتماع عربي وصياغة أنثروبولوجيا عربية. الكتاب عبارة عن مجموعة دراسات نشرها حمودي بين عامَي 2009 إلى 2021، وتدور في مجملها حول موضوع كيفية تأسيس رؤية عربية في دراسة الميدان. ولتحقيق هذه الغاية، يقترح الباحث العودة بنا إلى ما هو تقليدي أو تراثي، من أجل العثور على نموذج يتجاوز النموذج الكولونيالي الذي يحشر العالم كما يراه في خانة البدائي مقارنة بحداثة تحتكر الكونيّة لنفسها. يدعو حمودي إلى العودة لقراءة مؤلفين ما قبل حداثيين من أمثال العالم والباحث المسلم البيروني «بهدف التفكير معهم وضدهم، والتفكير بفضلهم والتفكير بأفكارهم ومن خلال أفكارهم» ولكي نُبدع من صلب منجزاتهم تراثاً معاصراً حياً ونؤسس لخطاب أنثروبولوجي متجدد يتحدى الهيمنة الغربية. يعتمد حمودي في دراسته هذه على نظريته السابقة (الشيخ والمريد) مع تطوير لها، ويسعى إلى البحث عن نبي أنثروبولوجي يساوي بين الشعوب، خلافاً للأنثروبولوجيين الأوروبيين في القرن التاسع عشر.

يوسف محمود العناتي

يعتبر يوسف محمود العناتي في كتابه «العربية. التحدي والاستثمار» (دار الأن ناشرون وموزعون) أنّ اللغة العربية هي إحدى السّمات الأساسية التي تُحدد هويتنا كعرب، فقد ارتبط بها دين الإسلام، والقرآن الذي نزل بها، وشكّل العامل الحاسم في حفظها على مرّ الزمن، رغم تراجع دور الأمة العربية على المستويَين الحضاري والإنساني. حاول الكاتب الأردني في بحثه هذا أن يُبيّن أنّ اللغة العربية تتميز بنظامها الخاص الذي يعكس رقيّها وثراءها، هذا النظام الذي يقوم على النسق الصوتي في النطق ثم النسق الصرفي، والنسق النحوي في الإبانة والإعراب. يستعرض العناتي أبرز التحديات التي واجهت اللغة العربية في الماضي والحاضر، مثل: ازدواجية اللغة بين البيت والمدرسة، وانتشار الأمّية في العالم العربي، ومنافسة اللغات الأجنبية للعربية في الدراسة والاقتصاد والمجتمع في عصر العولمة والتحدي الإسلاني والنحوي، ومحاولات التفريط بالحرف العربي وقواعد اللغة، ويقابلها في الاتجاه الآخر التزمّت والتشدد في عدم الميل إلى التجديد في اللغة. يقدم العناتي رؤيته لتفعيل دور اللغة العربية واستثمارها اقتصادياً في المجالَين الثقافي والخدماتي.

اليكسي سالنيكوف

عن دار «ثقافة للنشر والتوزيع»، صدرت رواية «آل بتروف والإنفلونزا وغيرها» (2016) للكاتب الروسي اليكسي سالنيكوف بترجمة منذر ملا كاظم. تدور أحداث الرواية حول عائلة بتروف، وهي أسرة روسيّة نمطية مؤلفة من «بتروف» الأب وهو ميكانيكي سيارات، و«بتروفا» الأم وهي تعمل كأمينة مكتبة، ولديهما ابن، لكنهما لا يعيشان معاً. يبدو أنه لم يكن ثمة شيء مميز في حياة آل بتروف. لكن الواقع اليومي ينفجّر في اللحظة التي تُصاب فيها الأسرة بالإنفلونزا، ويتّضح أن الحياة مليئة بالجنون والخيال والسريالية. تكاد تكون أحداث الرواية واقعية جداً، فهي تتناول تفاصيل حقيقية من واقع حياة الناس اليومية في روسيا في التسعينيات وأواخر سنوات الاتحاد السوفياتي. تمزج هذه الرواية المشوّقة أنواعاً أدبية عدة، وتُظهر بوضوح ودقّة كل تنوّع الروح الروسية، كما تحتوي العديد من التلميحات إلى الموت والأساطير المرتبطة به، خصوصاً أسطورتَي ماديس وبيرسيفوني.

أوراق

خربوشة ألكساميـنوس

زكريا محمد *

في عام 1857، وعلى جدار غرفة في فيلّا على تلة البالاتين في روما، عُثر على حفر بسيط لإنسان برأس حمار مرفوع على صليب، وقربه رجل تشير حركاته إلى أنه يتعبّد هذا الإنسان-الحمار، وتحتهما نقش باليونانية يقول: «ألكساميـنوس يعبد ربه» أو «ألكساميـنوس يعبد الرب». وفي غرفة مجاورة عُثر كذلك على حفر آخر يصوّر رجلاً شاباً وقربه نقش يقول: «ألكساميـنوس المؤمن». ومنذ ذلك الوقت لم يحسم الجدال حول الرجل- الحمار المصلوب، وحول معناه.

والاتجاه السائد أن الإنسان-الحمار تمثيل تشهيري ساخر ومعاد للمسيح والمسيحية. لكن هناك من رأى أن التصوير يمثل ديانة «أنوبيس»، أو ديانة الإله المصري «سيث» الذي يرتبط بالحمار. كما اقترح بعضهم أنّ الحفر من إنتاج مجموعة هرطقية من خارج الكنيسة الرسمية. لكنّ الأكثرية ظلت مع الرأي الذي يقول إنّنا مع تصوير ساخر معاد للمسيحية.

وفي سياق النقاش، منح الاسم ألكساميـنوس، الذي ليس شائعاً جداً في اليونانية، القليل من العناية. وقد افترض أنه اسم يوناني بسيط غير مركّب. وتركزت محاولات فهمه من خلال جذره اليوناني. لكن هذا الطريقة لم تدفع بنا ولو خطوة واحدة إلى الأمام لفهم المشهد.

وفرضيتي التي أطرحها هنا تقول إن المشهد ليست له علاقة بالمسيحية، وإن الاسم مرتبط بالإنسان- الحمار المصلوب بقوة، وإن فهم أي واحد منهما فهماً سليماً سيؤدي مباشرة إلى فهم الثاني. وهذه الفرضية تقول إن الاسم (ألكساميـنوس) مركّب وليس بسيطاً، وإنه تشكيل مقصود من اسمين اثنين، وإنه جرى التقاط الاسم اليوناني، غير الشائع، لجعله إطاراً يحوي هذا الاسمين معاً، أي أنّ الاسم اليوناني كان وسيلة لدمج الاسمين اللذين نتحدث عنهما.

أما الاسمان فهما: «إلكسي، إلكسيا» و«ميـنوس». وحين جرى دمجهما معاً وقُرّبا من الاسم اليوناني، حصلنا على «ألكساميـنوس».

1- أما الاسم الأول فهو Elxai، Elkasia رسول فرقة الكسائيين Elkesaites التي حدّثنا عنها مؤرخو الكنيسة، والتي كان لها وجود في القرون الميلادية شمال البحر الميت في فلسطين، ووجود أكبر في ما يبدو في جنوب العراق أيام الحكم الفارسي.

2- وأما الاسم الثاني «ميـنوس»، فهو اسم «ماني» Mani رسول المانوية الشهير جداً. فاسم «ماني» باللاتينية هو: Manes، Manichæus

ومن الواضح أنّ تقريب الاسمين المدموجين من الاسم اليوناني أدّى إلى تحريف بسيط لهما.

وإذا صح هذا، فهو سيكشف لنا قصة خربوشة ألكساميـنوس ومشهدها كله. سيكشف تاريخ الخربوشة، ومعنى وجود الحمار المصلوب، وسبب الخلط بين اسمي ألكسي وماني. وأول ما يكشفه أن الإنسان-الحمار المصلوب على علاقة بديانة ماني وديانة الكسائيين معاً.

الخلطة

أما الخلطة بين هذين الاسمين الشهيرين، فلسنا بحاجة إلى جهد كبير لتبريرها. فهي خلطة تقع في جذر المانوية. فنحن نعرف أنّ والد ماني كان من أتباع الكسي وطائفته، طائفة الكسائيين. بل نعرف أنّ ماني أيضاً كان عضواً في هذه الجماعة في طفولته. بل إن بعض المصادر المانوية تصف ماني بأنه «مصلح الكسائيين». صحيح أن هذه المصادر تخبرنا أيضاً أنه غادر طائفة الكسائيين، لكن علاقته بالكسي- الكسيا ظلت عميقة في ما يبدو. والحفر في تلة البالاتين

رسم لخربوشة الكساميـنوس والمشهد حولها

دليل حاسم على ذلك. أي أنه لم يكن هناك قطيعة بين المانوية والكسائيين بأي شكل من الأشكال. بل ولعل الحفر يشير إلى أن المانوية كانت في الواقع خلطة بين مبادئ الكسيا ومبادئ ماني الخاصة، أو تطويراً لها.

توقيت النقش

أما بخصوص التوقيت، فهناك خلاف حول توقيت الخربوشة. وتراوح التقديرات بين نهاية القرن الأول الميلادي ونهاية القرن الثالث الميلاد. لكنّ الأكثرية تميل إلى توقيتها ببداية القرن الثالث الميلادي.

لكن بناءً على فرضيتنا التي قدمناها أعلاه، فإن من المستحيل توقيتها بالقرن الأول الميلادي. ذلك أن روما لم تعرف «الكسي، الكسيا» وكتابه إلا في الرابع الأول من القرن الثالث الميلادي، أي في عهد البابا كالكستوس الأول Pope Callixtus I بين عامي 217 و222 م. في ذلك الوقت، وحسب هيبوليتيس، وصل إلى روما شخص يدعى ألكيباديس (ألسيبادس) Alcibiades من أفاميا في سوريا حاملاً معه «كتاب ألكسيا»، زعيم طائفة الكسائيين، والذي أنزله عليه ملاك محدد. عليه، فالخربوشة كُتبت بعد عام 2017 ميلادي بكل تأكيد بناءً على فرضيتنا.

أما «ماني»، فيفترض أن ديانته وصلت إلى روما بحدود عام 280 ميلادي على يد الرسول المانوي Psattiq القادم من مصر. بالتالي، تكون المانوية قد وصلت إلى روما بعد موت ماني تحت التعذيب عام 272 ميلادي. وفي هذا الوقت (280 م)، أو بعده، بدأت في الواقع الإجراءات المعادية للمانوية في روما باعتبارها فرقة عميلة للفرس. وهذا يعني أنه بعد قتل ماني على يد خليفة شابور، هوجمت ديانته في روما، ويا للمفارقة، باعتبارها أداة بيد الفرس. على أي حال، فهذه الإجراءات كانت الدليل على أن ديانة ماني أصبحت ذات حضور جدي في روما في ذلك الوقت.

بناءً عليه، فالنقش والحفر يعودان في غالب الظن إلى حدود عام 280 ميلادي. لكن من المحتمل أن تكون طلائع المانوية قد وصلت إلى روما قبل الرسول Psattiq لكنّ الأخبار عن هذا الوصول المبكر لم تصلنا.

وفي كل الأحوال، فإن تحديد تاريخ دقيق للخربوشة يعتمد على تفسيرنا للسبب الذي دعا نصير ماني الذي كتب الخربوشة إلى تقريب الخلطة بين اسمي الرسولين «ماني» و«الكسي» من الاسم غير الشائع (ألكساميـنوس). فهل كان هذا نوعاً من التقية؟ أي: هل كان إظهار الخلطة بين الاسمين كما لو أنها اسم يوناني أصيل، نوعاً من التقية لحماية النفس؟ إن كان كذلك فالخربوشة تكون قد كُتبت في اللحظات التي صارت معاداة المانوية أمراً رسمياً أي في حدود عام 290 ميلادي وما بعده. أما إن كان الدمج بين الاسمين نوعاً من إعلان الهوية الدينية للجماعة المانوية، أي باعتبارها هوية تحوي في داخلها ديانة ألكسيا، فإن النقش يكون قد كُتب قبل ذلك، أي بين عامي 270 و280 م. وفي هذه الحال فهناك احتمال، حتى لو كان ضئيلاً، أن تكون الخربوشة كُتبت وماني ما زال حياً.

لكن من المحتمل أن الرجل خلط بين الاسمين من دون أن تخطر في باله علاقة هذه الخلطة بالاسم اليوناني النادر.

الحمار المصلوب

نأتي الآن إلى الحمار المصلوب. وكنت في ورقة سابقة قد اقترحت أن الكسائيين كانوا يتبعون إلهاً يتجسد بحمار. وأن الكسيا النبي كان ككاهن لهذا الإله يحمل لقب الإله ذاته. أي أن النبي حمل اسم إلهه. فكما يكون الإله يكون كاهنه كذلك. بالتالي، فالاسم الكسي- الكسيا اسم إله في الأصل. كما اقترحت أن هذا الاسم هو النطق الآرامي «الكَسِيع، أو الكسع»، وجمعها الكسعة، في العربية. وهذه الكلمة تعني الحمار: «الكسعة: الحمر السائمة» (لسان العرب). يضيف الأزهري: «قال أبو عبيدة: «الكسعة: الحمير» (الأزهري، تهذيب اللغة) أكثر من هذا تخبرنا المصادر العربية أن الكسعوم هو الحمار بالحميرية: «الكسعوم: الحمار، بالحميرية. ويقال: بل الكسعوم، والأصل فيه الكسعة، والميم زائدة» (لسان العرب). وهناك حديث نبوي يتحدث عن الكسعة: «ليس في الكسعة صدقة». والغالبية ترى أن الكسعة في الحديث هي الحمير. كما أن هناك قبيلة تدعى «الكسع» يبدو أنها كانت تتعبد للإله الكسيع أو الكسع في زمانها القديم. بذا، فصيغة «ألكسي» يجب أن تكون «الكسيء» وأنها النطق الآرامي لكلمة «الكسيع» حيث تحولت العين إلى همزة. لكن من المحتمل أيضاً أنها التحريف اليوناني للكسيع.

وكنت قد اقترحت كذلك أن «الحسيح، الحسح« زعيم طائفة المغتسلة، التي حدّثنا عنها ابن النديم في الفهرست، تصحيف للكسيع أو الكسع. أي أن الصيغة الأصلية عند ابن النديم هي «الكسيع» ثم صحّفها النساخ الذين لم يفهموا الاسم. وانطلاقاً من مشابهة، أو مماهاة، أفيفانوس لعدد من الطوائف في فلسطين بالكسائيين Elkasaites، فإنه يمكن القول: إن الشمسيين Sampsaeans، والأبيونيين Ebionites، والنازوريين Nazoraeans، إضافة إلى الأوسيانيين Ossaens، الذين يبدو أنهم على علاقة مع الأسينيين Essenes الشهيرين، كانوا يتعبدون لإله يتجسد في حمار. وفي الحقيقة، فإن الاسمين الأخيرين (الأوسيانيين والأسينيين) ربما يعنيان: الحميريون، أي عبدة أو الإله-الحمار، مباشرة. فالحمار هو «أسينوس» باليونانية.

وعلى أي حال، يمكن القول بأنّ هناك غفلة عند الباحثين عن اتساع نطاق ديانة الإله-الحمار. فقد كانت أهم ديانة في حوض البحر المتوسط وحوله على الإطلاق. وهي على علاقة بالإله سيث، والإله أوزيريس، والإله – الرسول العزير. وما أكتبه هنا جزء من مشروع كتاب عن الإله-الحمار، أو الإله حمار- الوحش، الذي يكون في لحظة ما مصلوباً. ولعلّني أقول إنه لا يمكن إطلاقاً فهم ديانات المنطقة جميعها، لا أستثني ديانة واحدة منها، من دون فهم ديانة الإله - الحمار.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 1 Avril 2023 no61
السبت 1 نيسان 2023 العدد 61

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

جورج معتقل سياسي

[5-4]

التغييرات القضائية التي قسّمت العدو الإسرائيلي

8

ضحية صامتة

7

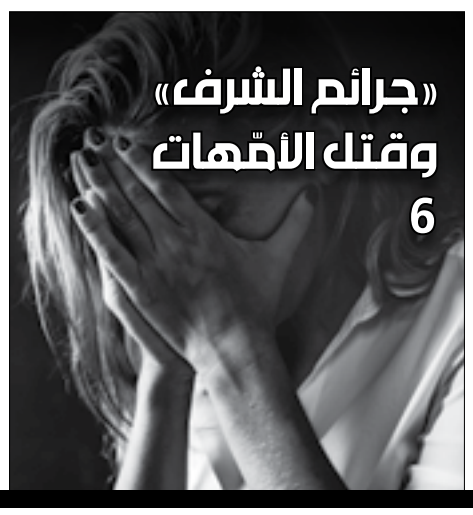

«جرائم الشرف» وقتل الأمّهات

6

فتح سوق الجنسيات والأوطان البديلة للأثرياء فقط

3-2

في الواجهة

مستقبل آمن، راحة بال، مرونة مالية، حرية فتح حسابات مصرفية، حرية سفر وتنقل بين الدول، عناوين جذابة ورنّانة تنتشر على الطرقات اللبنانية من خلال لوحات إعلانية تروّج لبرامج شراء جوازات سفر لدول وجزر لم نسمع بها سوى على مواقع التواصل الاجتماعي وبعض مشاهير العالم الافتراضي ضمن حملات ترويجية تدغدغ مشاعر اللبناني المنكوب الباحث عن فرصة للنجاة من واقعه المازوم. سانت لوسيا وسانت كيتس ونيفيس وغرينادا وغيرها من الدول والجُزر، اطلقت برامج لشراء الجنسية مقابل استثمارات معيّنة او دفع مبالغ مالية، وكالعادة يتهافت اللبنانيون، ولا سيّما الميسورون منهم، للحصول على جواز سفر ثانٍ في محاولة لضمان مستقبل مجهول في دولة مجهولة قد لا تختلف مصائبها عن تلك التي نعيشها في لبنان.

فتح سوق الجنسيات والأوطان البديلة للأثرياء فقط

«باسبور» برسم البيع

نائلة نحلة

جرّاء الانهيار الاقتصادي وتفاقم الأزمات الدبلوماسية مع الدول الخليجية والتشدد في إعطاء تأشيرات دخول للبنانيين إلى عدد من دول الخليج، قرّر علي بعد استبعاده مع عائلته من إحدى الدول الخليجية اللجوء إلى شراء جنسية أخرى. رغم تأكيده عدم رغبته في مغادرة لبنان مجدداً، وأن الأزمات التي يعيشها اللبنانيون حالياً عابرة، لكنه يشتري ضمانة لمستقبل أولاده، لمنحهم حرية السفر والتنقل والدراسة في الخارج إن رغبوا، إذ يعتقد أن انتماءه إلى طائفة معيّنة يصعّب عليه الحصول على تأشيرة سفر إلى عدد من الدول ولا سيّما الأوروبية، لذلك أراد من خلال الجنسية الثانية تسهيل الأمر على أولاده.

أما هادي، فقد عاش صراعاً بين الاستثمار بمبلغ 135,000 دولار في لبنان أو شراء جنسية ثانية، وأمام تصنيف جواز السفر اللبناني من بين الأسوأ لجهة الحصول على تأشيرات وحاجته المستمرة إلى السفر بحكم عمله، فضّل شراء جنسية صادرة من جزيرة سانت كيتس ونيفيس في البحر الكاريبي. وأصبح بإمكانه السفر إلى أكثر من 150 دولة، بينها دول أوروبية، من دون الحاجة إلى استصدار تأشيرات دخول. يؤكد هادي أن جواز سفره الثاني سهّل عليه تنقله وعمله، وهو لا يعرف عن «بلده الجديد» سوى أنه بلد جميل، لكنه لا يفكر بزيارته أبداً ولا التعرف إليه أو إلى ثقافته واللغة المحكية فيه!

الجنسية مقابل المال

لا يعي البعض المفهوم الحقيقي والخطير للحصول على جنسية. فتلك الوثيقة ليست مجرد حبر على ورق مزيّنة بأختام وعلم البلد. والحصول على الجنسية يعني الحصول على صفة مواطن بما يترتب عليها من واجبات وحقوق والتزامات سياسية، كالترشّح والانتخاب ودفع الضرائب والمشاركة في الخدمة العسكرية وحرص المواطن على التمسّك بوطنه وحفظ أمنه.

لكن بعض الدول لا تلتفت إلى كل هذه الضوابط الاجتماعية، وحوّلت جنسيتها إلى سلعة للاستثمار الاقتصادي، فلا تمانع منح جنسيتها بهدف كسب فائدة اقتصادية، شرط أن يكون الأمر منظّماً وتحت إشراف القانون الدولي، من دون الالتفات إلى تعزيز الهوية الوطنية أو إنشاء أي رابط بين مكتسب الجنسية ووطنه الجديد. فكيف يمكن قبول أناس للانتماء إلى دولة معيّنة وهم لا يحملون في قلوبهم الولاء لذلك الوطن، إنما يرونه مجرّد وطن خدماتي وضمانة لمصالحهم المالية؟

فقد أصبحت عملية شراء جوازات السفر تستقطب أصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين، مثلما مثل شراء العقارات والمجوهرات والبخوت، إذ تُعدّ برامج الجنسية عن طريق الاستثمار طريقاً مباشراً للحصول على جواز سفر ثانٍ، يمنح المتقدمين جنسية دائمة وجواز سفر عند الاستثمار في الدولة المانحة للجنسية من دون الحاجة إلى الإقامة في تلك الدولة أو حتى زيارتها.

> تبقى الجنسية الثانية شبه مستحيلة للبنانيين في ظل الأزمات المعيشية وتنحصر حكماً في طبقة معيّنة

وتشير تقارير إلى أن دولاً مثل سانت كيتس ونيفيس اللتين سجّلتا نمواً في إجمالي حجم الطلب، وكومنولث دومينيكا، التي شهدت ارتفاعاً كبيراً، تأتي على قائمة الجنسيات الأكثر تفضيلاً ضمن برامج الجنسية عن طريق الاستثمار في أوساط المواطنين اللبنانيين. من جهة أخرى، ارتفع الطلب الإجمالي على برامج الجنسية السريعة لبعض الدول الأوروبية مثل قبرص.

وتختلف شروط وطرق الحصول على جنسية ثانية عن طريق الاستثمار. فبعض الدول تطلب مساهمة بمبالغ مالية لصالح الصناديق الحكومية، ومنها من تشترط استثماراً عقارياً بمبالغ محددة. وتختار النسبة الكبرى من اللبنانيين الراغبين باكتساب جنسية ثانية الحصول على جواز سفر ثانٍ عن طريق المساهمة المالية، مقابل خيار الاستثمار العقاري الذي قد يبدو أعلى كلفة.

تبدأ كلفة برامج الجنسية من 100,000 دولار أميركي، وتتيح هذه الجوازات لحامليها إمكانية السفر من دون تأشيرة إلى أكثر من 120 دولة، بما فيها المملكة المتحدة ودول شنغن.

أما الحصول على الجنسية الأوروبية فيتطلب قدراً أكبر من الاستثمار. فمن الممكن الحصول على جواز سفر لإحدى دول الاتحاد الأوروبي في غضون 6 أشهر فقط عن طريق الاستثمار العقاري في قبرص بمليوني يورو، على أن يُحتفظ بالعقار لمدة ثلاث سنوات، ويمكن بيعه بعد انقضاء تلك المدة. كما يمكن أفراد أسر المتقدّمين، أن يصبحوا مواطنين أوروبيين، الأمر الذي يسمح لهم بالعيش والعمل والدراسة في أي من دول الاتحاد الأوروبي. ويمكنهم أيضاً توريث الجنسية للأحفاد والأجيال القادمة من بعدهم.

شروط الحصول على الجنسية

تحدد الدول في قوانينها ونظمها شروطاً محددة للحصول على الجنسية، تتدرّج بين منح الجنسية بصورة آلية وفقاً لرابطة الدم أو النسب، فالمولود يُمنح الجنسية إذا كان والداه أو أحدهما يحمل الجنسية، أو رابط الإقليم أو الأرض، فيُعدّ المولود حاملاً جنسية الدولة التي ولد على أراضيها بغضّ النظر عن جنسية الوالدين. كما يمكن اكتساب الجنسية من خلال تقديم طلب الحصول على جنسية أخرى، إذا توفرت الشروط المحددة قانوناً والتي تتمثل في غالبية القوانين بإثبات الإقامة الدائمة وغير المنقطعة لفترة زمنية معيّنة، وفي بعضها إثبات الاندماج الثقافي والاجتماعي في المجتمع، المتمثلة غالباً بإتقان اللغة واحترام الأنظمة العامة والقوانين ودفع الضرائب.

وتلجأ بعض الدول إلى إعطاء جنسيتها بصورة استثنائية لمن يقدّم لها خدمات جليلة، أو لمن يقوم باستثمارات مالية أو عقارية أو لنجوم الرياضة.

جوازات مزوّرة

صلاح شاب سوري مقيم في لبنان، تفرض عليه طبيعة عمله التنقل بين الدول. وكونه سورياً، كان يواجه صعوبة للحصول على تأشيرات سفر ناهيك عن مضايقات يتعرض لها في المطارات. اقنعه أحدهم بإمكانية شراء جنسية إحدى دول أميركا اللاتينية، ما يمكّنه من دخول عدد من الدول الأوروبية بمبلغ لا يتجاوز خمسين ألف دولار أميركي. وبالفعل استحصل على جواز سفر جديد تجوّل فيه لمدة سنتين في عدد من الدول الأوروبية من دون أي مشكلات، إلا أنه فوجئ في زيارته الأخيرة لوطنه الجديد بتوقيفه في المطار والتحقيق معه. وطبعاً، عدم تمكّنه من اللغة صعّب عليه التفاهم مع رجال الأمن، إلى أن حُوّل إلى المحكمة بتهمة استحصاله على جواز سفر بناءً على قرار تجنيس مزوّر، لينتهي حلم التنقل بحرية إلى التنقل بين أروقة السجون في بلد غريب.

إعلانات مغرية وازدهار سوق الجنسيات

في الأعوام الأخيرة، ازدهر عمل الشركات المتخصصة في تقديم استشارات في مجال جوازات السفر، وكثرت الإعلانات في اللوحات الدعائية أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

يقوم بها البعض، مستغلين حاجات الناس وأوجاعهم، كما دعا المواطنين الراغبين بالاستفادة من برامج منح الجنسية التوجه إلى مكاتب مرخّصة ومعتمدة من قبل السفارات وعدم الانجرار خلف الإعلانات التي قد تكون وهمية، وأكد أن التطور التكنولوجي يسمح للجميع بالبحث والتأكد من المعلومات ومن حقيقة البرامج المعتمدة ومن صحة التقديمات من الدول التي يُروّج لها.

وفي غياب الرقابة على كلّ القطاعات في لبنان وانتشار الفوضى والتهرّب من العقاب، كيف يمكن حماية المواطنين والمقيمين من موجة الإعلانات المغرية التي تقتحم شوارعنا وشاشاتنا للترويج لشراء جنسيات ثانية؟

هل يُشترى الانتماء؟

قد تُعدّ برامج الجنسية حلاً مزدوجاً للدول المأزومة اقتصادياً وللأفراد الباحثين عن مطامع اقتصادية أو اجتماعية. ولكنها بالتأكيد نموذج غير سويّ لبناء الدول، فكأننا نعمل على رسم لوحة فنية بعناصر غير متجانسة أو نشيّد بناء من دون أساس ولا ترابط بين طبقاته.

فالعلاقة بين المواطن ووطنه لا يمكن أن تُقاس أو تُختصر باستثمارات أو مساهمات مالية، هي انتماء إلى هوية تُشكل جزءاً من التركيب النفسي والعقلي للفرد منذ ولادته حتى وفاته، هي الانتماء الأبدي إلى وطن بكل ما يمثله من عادات وتقاليد وتاريخ وثقافة وتطلّعات وحنين إلى كل تفاصيله.

فالانتماء الحقيقي، هو الشرط اللازم لحمل جنسية أي وطن والاعتزاز به والدفاع عنه والتضحية من أجله، وتحمّل كلّ التقلبات التي يمرّ بها، فلا يمكن معاملة الأوطان على أنها سلة ننتقي منها ما يناسبنا ويلبّي طموحاتنا ونرمي الباقي.

من هنا، لا يمكن تقبّل سياسات الدول التي تقوم ببيع جنسياتها من دون ضوابط وشروط، أهمها الإقامة والاندماج الاجتماعي. ومن المؤكد أن قيام هذه الدول لن يكون سليماً في المستقبل. فالعامل الأساس لقوة أي بلد هو تماسك شعبه وتعلقهم بأرضهم وجذورهم. أما العامل الاقتصادي فلا يبني سوى دول هشّة قابلة للكسر عند أول أزمة.

كما لا يمكن ضمان الاستقرار في هذه الدول، إن كان على الصعيد الاقتصادي أو السياسي أو الدولي أو القانوني. فقد يحدث تعديل لقوانين الجنسية داخل هذه الدول وتُسحب الامتيازات من المجنّسين. أو ربما يوضع حظر على هذه الدول أو يتدنى ترتيب جوازاتها في المستقبل وخسارة ميزة الدخول إلى الدول الأوروبية. ويُفقد بذلك الرابط بين المجنّس والوطن المزعوم، وتكون الخسارة المادية قد أضيفت إلى خساراته في وطنه الأم، فما الضمانة؟

مزايا الحصول على جنسية ثانية

- سهولة التنقل بين دول العالم بدون تأشيرة سفر وإنجاز الأعمال التجارية في معظم دول العالم بحريّة وحركة وراحة بال.
- فتح آفاق جديدة من الفرص التجارية الاستثمارية على مستوى العالم، وإمكانية استغلال الفرص التجارية المناسبة للفرد.
- التمتّع بنظام ضريبي مميّز وإعفاءات ضريبية يصعب إيجادها في البلد الأصلي، ما يسهّل للفرد إدارة رأس ماله بكل حرية والعمل على تنميته في بيئة اقتصادية ناجحة.
- الشعور بالراحة والأمان في بلد مستقر أمنياً وسياسياً واقتصادياً، فينعم الفرد مع عائلته باستقرار معنوي.
- منح الفرد وعائلته فرصة تلقّي تعليم عالي المستوى ورعاية صحية ممتازة ونظام تقاعد عادل وبنية تحتية صلبة، تغيّر من أسلوب حياته إلى الأفضل، لعيش حياة الرفاهية والاستقرار.

طرق الحصول على الجنسية اللبنانية

1- عبر الميلاد:
- من وُلد لأب لبناني.
- من مواليد لبنان لأبوين مجهولين أو لأبوين بلا جنسية (بدون).
- يمكن الحصول على الجنسية من قِبل الأشخاص من أسلاف لبنانيين، وفقاً للقانون الرقم 41. يكون الشخص مؤهلاً للتقدم بطلب استعادة الجنسية إذا كان بإمكانه إثبات علاقته بأسلاف ذكور مسجلين على أنهم لبنانيون.
- وتجدر الإشارة إلى أن القانون اللبناني لا يمنح الجنسية التلقائية للأطفال المولودين من أم لبنانية وأب أجنبي، حيث لا تُمنح الجنسية إلا عن طريق الذكور.

2- عبر الزواج:

وينحصر الحصول على الجنسية اللبنانية بالزواج فقط بالإناث المتزوجين من ذكر لبناني حسب الشروط التالية:
- أن يكون قد مضى على زواجها من ذكر لبناني مدة بين سنة وثلاث سنوات.
- إنجاب طفل أو أكثر من الزوج اللبناني (في حالة السورية والفلسطينية).
- الاندماج في طريقة الحياة اللبنانية والامتثال لحكم القانون اللبناني.
- أنها لا تسبب خطراً على الأمن الداخلي والخارجي لجمهورية لبنان.
- وجود علاقات وثيقة بجمهورية لبنان.

3- من خلال الأصل:

يحق استعادة الجنسية اللبنانية لكل شخص يستوفي أحد شرطي الأهلية أدناه:
- إذا كانت سجلات تعداد 1921 في وزارة الداخلية والبلديات وسجلات الهجرة تشير بوضوح إلى وجوده أو وجود أسلاف أو أقرباء إلى الدرجة الرابعة، كما هو مسجّل في سجلات التعداد السكاني لعام 1921 في وزارة الداخلية والبلديات (التي ستثبت الهجرة إلى سلف مباشر من الأب/الأجداد).
- إذا كان هو أو سلفه أو أقرباؤه المذكورون أعلاه قد تجنّسوا كمواطنين لبنانيين بموجب قانون التجنيس الصادر في 19 كانون الثاني 1925، وأهمل المطالبة بجنسيته أو استعادتها.
- التحقق من «الوجود الفعلي للأقارب اللبنانيين في البلدة أو القرية أو الحي» الذي قد يدّعي الفرد أن درجة القرابة منها، إلى جانب أي ملكية/حيازة حقوق الملكية العقارية التي تكون «مستوحاة أو موروثة من مواطن لبناني». (في 12 تشرين الثاني 2015، وافق مجلس النواب اللبناني على مشروع قانون يسمح «للأجانب من أصل لبناني بالحصول على الجنسية»، وأعلن وزير الخارجية والمغتربين جبران باسيل في 5 أيار 2016 بدء تطبيق قانون الجنسية للشتات اللبناني).

تحت القوس

بين الإثراء المشروع ومشروع الإثراء

عمر نشابة

يتزامن استمرار تراجع قيمة العملة الوطنية في لبنان، وانهيار ما تبقّى من القطاع العام ومؤسسات الدولة، مع تزايد مظاهر الثراء في بعض أحياء العاصمة بيروت، وفي الأماكن السياحية والأسواق التجارية والمدارس والجامعات الخاصة.

بينما الجامعة اللبنانية والمدارس الرسمية معطّلة، وفي حين يبحث أساتذتها عن وظيفة بديلة تمكّنهم من تسديد كلفة حاجاتهم الأساسية، تعجّ بعض الطُرق بسيارات من أحدث طراز وتمتلئ المطاعم والمقاهي الفخمة بزبائن يستعرضون حجم ثرائهم ونجاحهم. يقولون إن كل هذا المال من «عرق جبينهم»، وقد جمعوه بفضل التجارة والشطارة والعمل الجدّي، ولا شك في ذلك. لكن، هل هناك فرق بين مشروع الإثراء، والإثراء المشروع يا ترى؟

لنسلّم بداية بأنّ مراكمة الثروات، بغضّ النظر عمّا إذا كانت بطرائق مشروعة أو غير مشروعة، تتطلب الكثير من العمل الشاقّ والذكاء والمثابرة والوقت. فالأعمال التجارية القانونية مثلاً، تتطلب جهوداً كبيرة ونفساً طويلاً وتسويقاً صائباً وإدارة يومية لعمليات البيع والشراء. أما الأعمال التجارية الاحتيالية، فتتطلب كل ما ذُكر من أعمال إضافة إلى القدرة على اقتناص الفرص المناسبة للالتفاف على القانون ولتمرير الصفقات. كما تتطلب بعض الأعمال الاحتيالية تسديد أتعاب باهظة لمكاتب المحامين المعروفين، ورشوة كبار المسؤولين في الدولة واسترضاء التيارات والأحزاب النافذة. ولا يمكن تمييز الإثراء المشروع عن الإثراء الاحتيالي بسهولة، لأن التاجر الفاسد يستخدم الأعمال التجارية المشروعة للتغطية على أعماله الاحتيالية، ولأن الاحتيال والغش يُعدّان في بعض الأوساط الاجتماعية شطارة وتذاكياً مربحَيْن. وغالباً ما يجتمع التاجر الفاسد بالتاجر الصالح في الأماكن نفسها ويضيع «الشنكاش». ويبدو أن ذلك لا يزعج أحداً، لأن مشروع الإثراء يتقدّم على الإثراء المشروع، وطريقة صرف الأموال أولى من تحديد مصدرها.

فالاهتمام بالساعات الذهبية وخواتم الألماس والملابس الثمينة وبرنامج رحلات اليخوت الصيفيّة يتفوّق على الاهتمام بمصدر الأموال الباهظة التي تُصرف عليها. هكذا تتكوّن البيئة الحاضنة لإخفاء جرائم تبييض الأموال والإفلات من العقاب وحماية الفاسدين. هي بيئة حاضنة للتخلص من «أعباء» القطاع العام، حيث يفترض تحديد مصدر كل قرش يدخل إلى جيوب الوزراء والمديرين والموظفين، وحيث يرتكز الاهتمام على العمل الجماعي والمصلحة العامة، وحيث للعدالة الاجتماعية مكان.

يتيح مشروع الإثراء لبعض اللبنانيين أن يستمروا في حياتهم الطبقية «الطبيعية»، وأن يختاروا الجنسية التي تحلو لهم ويسافروا إلى حيث يشاؤون، ويعيشوا حياة جميلة من دون أن يشغل بالهم السؤال عن مصدر المال وكيفية جمعه وإذا كان قد هُرّب إلى الخارج أو من الخارج بطرائق ملتوية.

لن يتغيّر شيء في لبنان، ما دامت المصالح تتفوّق على المبادئ، وما دام الثراء بحدّ ذاته دليل النجاح حتى لو انهار كل شيء من حوله.

في العمق

جورج معتقلاً سياسياً في فرنسا يرفض المساومة

قاعدة العدل والإنصاف، هي القاعدة التي تُبنى عليها القوانين كافة، وعلى اساسها تُفسّر القواعد القانونية ويوضع معناها. جعل ملحق «القوس» هذه القاعدة اساساً لكل القضايا التي يعالجها، لان القانون ناقص من دون عدل وإنصاف. ملف جورج عبدالله هو بمثابة فضيحة قانونية كُتبت بايدي قضاة فرنسيين، يتباهون بتطبيقهم للقانون وتعليمنا اصوله، وهم من نسفوا عن سابق تصوّر وتصميم وإرضاءً للاميركيين والإسرائيليين، قاعدة العدل والإنصاف من دون ان يرف لهم جفن. في 2 نيسان 2023، يمضي جورج عبدالله، الذي وُلد في بيت مناضل وتربّى على حب فلسطين، شمعته الـ73، بعد ان اضاء شمعته الـ38 لتاريخ اعتقاله. وشمعته التي تخطّت الـ50 لتاريخ نضاله. خلال 38 عاماً من الاعتقال، لم ييأس جورج ولم يساوم وبقي «مريضاً بحبه لفلسطين»، كما وصفته لجنة الإفراج المشروط التي كانت تُخضعه لفحص نفسي مرة كل عام لترى إن كان مؤهلاً للإفراج. إلا انه كان يذكّر في التقرير بعد كل مرة، في خانة تقدير «الخطورة الجرمية» الناجمة عن مرضه. إذ إنه «ما زال على التزامه السياسي في معاداة الإمبريالية والصهيونية». وهذا «المرض العضال» هو السبب الاساس لرفض طلبات الإفراج التي تقدّم بها

فداء عبد الفتاح

ولد جورج إبراهيم عبدالله في قرية القبيات العكارية في 2 نيسان 1951، تابع دراسته في دار المعلمين في الأشرفية وتخرج في عام 1970.

التحق بصفوف المقاومة الوطنية، ثم بصفوف المقاومة الفلسطينية دفاعاً عن المقاومة وعن الشعب اللبناني والفلسطيني، وجرح خلال المعارك ضد آلة الحرب الصهيونية أثناء الاجتياح عام 1978. تحت شعار «وراء العدو في كل مكان»، أسّس الفصائل المسلحة الثورية اللبنانية، وتمكّن مع رفاقه من نقل الحرب إلى أراضي الدول الإمبريالية لوقف إمداد العدو الصهيوني بالسلاح من خلال عمليات دقيقة موجهة ضد عسكريين وليس ضد مدنيين أو دبلوماسيين كما رُوّج له في حينها.

اعتُقل عبدالله في مدينة ليون الفرنسية عام 1984، وحُكم عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة حيازة جواز سفر جزائريّ مزوّر. علماً أن الحكومة الجزائرية أعلنت أنها هي من منحته هذه الوثيقة. منذ البداية، اعترض جورج عبدالله على شرعية المحاكم الفرنسية، إذ اعتبر فرنسا شريكة بالعدوان على شعبنا، وكانت كلماته هذه في قاعة المحكمة متزامنة مع قصف البارجة الأميركية نيوجرسي لبيروت والاجتياح الإسرائيلي لها. لم يعترض جورج عبدالله على الحكم نتيجة رفضه للمحاكمة واعتبارها غير شرعية. هذا الموقف المتشدد من قبله، ترجمه من خلال قناعاته في خوض النضال على كافة المستويات، بما فيها عدم الاعتراف بالمحاكمة من قبل دولة شريكة بدعمها الكامل لآلة الحرب التي تجتاح وتحتل أراضينا. الأمر الذي دفع الاستخبارات الفرنسية للعمل على تركيب تهمة أكبر لجورج عبدالله للوصول إلى حكم أشد.

مناضل يرافع عن مناضل

لم تكن جلسات المحاكمة بعد فضيحة المحامي جان بول مازورييه وتولي الدفاع من قبل المحامي جاك فيرجيس جلسات محاكمة عادية، بل كانت جلسات محاكمة لكل تاريخ ونهج الإمبريالية العالمية وحروبها المستمرة ضد شعوبنا وبلادنا. قال المحامي جاك فيرجيس في مرافعته في جلسة المداولات في محكمة لانميزان في 17 أيلول 2007: «تعبّر حكومة الولايات المتحدة عن رفضها الصارم لاحتمال الإفراج المشروط عن جورج عبدالله كنتيجة للمداولات أمام المحكمة العليا في باريس». واعتبر في مرافعته أن تدخل السلطات الأميركية في القضاء الفرنسي هو إهانة له، وتابع أنه «ليس من حق دولة أجنبية، وإن ظنّت نفسها سيدة العالم، أن تتسلط على القضاء الفرنسي أو أن تعبّر عن رفضها الصارم لقرار سيّد قد يتخذه وهي تضرب بقبضتها قوس العدالة».

ما بدأ به المحامي جاك فيرجيس ومن قبله جورج عبدالله خلال جلسات المحاكمة، أكد عليه لاحقاً مسؤولون فرنسيون كانوا على ارتباط مباشر بقضية جورج عبدالله، لتنفيذ طلبات السلطة الفرنسية التي كانت تبحث عن كبش محرقة لإرضاء الرأي العام الفرنسي آنذاك الذي كان تحت تأثير تداعيات تفجيرات العام 1986 و1987 الذي أسفر عن عدد كبير من الضحايا. فاتُهمت مجموعة جورج عبدالله بوقوفها خلف تلك التفجيرات، لتعود بعد بضع سنوات وتعلن اعتقال المجموعة التي قامت بالتفجير فيتبيّن أن الاتهام كان ملفقاً.

اعترافات مسؤولين فرنسيين

أعلن القاضي السابق الان مارسو الذي أسّس الجهاز المركزي لمكافحة الإرهاب بعد تقاعده في كتابه الذي عنونه: «قبل أن أنسى كل شيء» (Avant de tout oublier) ليريح ضميره من عبء قضية جورج عبدالله، أن الفرنسيين استفادوا من الانفجارات التي استهدفت مدنيين في باريس في تلك الفترة ليزيدوا من قساوة العقوبة التي سينزلوها بالمناضل جورج عبدالله، وقال "جورج عبدالله محكوم لشيء لم يفعله، بعد فترة اكتشفنا الهوية الحقيقية للمسؤولين عن تفجيرات 1986".

كما صرّح إيف بونيه المسؤول عن اعتقال جورج في تصريح لجريدة La Dépêche: "أعتقد شخصياً أنه كان مُحقاً بمطالبته اعتبار أعمال الـ FARL أعمال مقاومة وليس إرهاباً. يمكننا أن نتفق على ذلك أو لا، هذا شيء آخر. لكن يجب أن نتذكر أيضاً حالة الحرب اللبنانية، لا تنسوا أن مرتكبي مجزرتي صبرا وشاتيلا لم يحاسبوا حتى اليوم". كما صرّح أيضاً أن: "الاستخبارات الفرنسية اختلقت الأكاذيب في تقريرها بغية الإبقاء على هذا المناضل في السجن بعد أن تقدّم بطلب إطلاق سراح عام 2003"، وأن "السلطة السياسية في فرنسا لا تحترم كلمتها، فهي تختلق الأكاذيب وتنحني أمام الضغوطات الخارجية".

الإفراج المستحيل اميركياً

الإفراج عن جورج عبدالله هو حقّ مشروع وفقاً للقانون الجزائي الفرنسي، لأن عبدالله يستوفي شروط الإفراج منذ عام 1999. هذا الأمر هو الذي دفع السلطات الفرنسية إلى إعادة فتح ملف جورج أكثر من سبع مرات في السنوات الماضية. ووفقاً للقانون الجزائي الفرنسي وبعد اعتقاله لمدة 15 عاماً، استوفى جورج عبدالله شروط الإفراج عنه، وهي مدة السجن المؤبّد في القانون الفرنسي، إضافة إلى الشهادة بحسن سلوكه داخل السجن طيلة مدة الاعتقال.

إلا أن الضغط السياسي الأميركي - الصهيوني، والذي ينفي عن محاكمة جورج عبدالله أي صفة قانونية، أدى إلى استئناف قرار الإفراج عن جورج في كل مرة يصدر فيها نتيجة الضغوطات السياسية وخلافاً للقانون. وقد صرّح إيف بونيه بعد تقاعده أنه في كل مرة كان يُركّب جهاز الاستخبارات الفرنسية التهم زوراً لإعطاء القاضي حجة لإبقاء جورج عبدالله مدة أطول في السجن. وبعد ثلاثة طلبات إفراج، رُفضت خلافاً للقانون ونتيجة الضغط السياسي، جاء تقرير التقييم من جهاز الاستخبارات لطلب الإفراج ليعلن أن: "جورج عبدالله لم يغيّر قناعاته ضد الإمبريالية وضد الصهيونية" ولهذا رُفض الطلب من جديد. وبهذا، يكون عبدالله سجيناً سياسياً وسجين رأي، على عكس ما تدّعيه السلطات الفرنسية بأنها دولة ديمقراطية ودولة القانون وأنه لا يوجد لديها سجناء سياسيون أو سجناء رأي، لكن قضية جورج عبدالله هي مثال صارخ عن ذلك.

> يؤدي الضغط السياسي - الاميركي - الصهيوني إلى استئناف قرار الإفراج عن جورج عبدالله في كل مرة يصدر فيها

(من الويب)

«من واجب كل دولة تحترم ذاتها أن تتّبع شؤون مواطنيها»

زيارة يتيمة لوزيرة العدل اللبنانية السابقة

38 عاماً على اعتقال جورج عبدالله في فرنسا مع مسار ملي، بالتلفيق والانتهاكات لأبسط حقوق الإنسان في المحاكمة العادلة، لم يحرك ساكناً من قِبل السلطات اللبنانية. إلى أن تعاظمت حركة التضامن معه ووصلت إلى معظم دول العالم بما فيها فرنسا، التي تشهد منذ سنين طويلة اعتصامات ومسيرات تطالب بالإفراج الفوري عنه. إضافة إلى حملة الضغط التي عملت عليها «الحملة الوطنية لتحرير الأسير جورج عبدالله» في لبنان والتي قامت بالعديد من النشاطات والاعتصامات ووجهت كتاباً ورسائل لكل المعنيين في الدولة بدءاً من موقع رئيس الجمهورية وصولاً إلى وزراء الخارجية والعدل المعنيين بشكل مباشر بهذا الملف. ولم يحدث على المستوى السياسي الرسمي أي تحرك جدّي بالمعنى الفعلي للمتابعة السياسية والقانونية للملف. لكن بعد كل هذه السنوات، خرقت وزيرة العدل السابقة ماري كلود نجم الصمت الرسمي اللبناني تجاه قضية جورج عبدالله وقامت بزيارته برفقة السفير اللبناني رامي عدوان في سجنه في لانميزان. استمرت الزيارة لمدة ثلاث ساعات وكان قد سبقها تواصل مع نظيرتها وزيرة العدل الفرنسية في أيار 2020 بذات الخصوص. استوضحت «القوس» من الوزيرة عن مضمون زيارتها، فأجابت أنها: "تناولت الموضوع مع نظيرتها الفرنسية نيكول بلوبي ومن ثم مع خليفتها إريك دوبون موريتي في إطار التعاون المستمر مع السلطات الفرنسية على جميع المستويات بهذا الشأن" كما قالت إن: "الحل لقضية عبدالله يتطلب تعاوناً وثيقاً وشفافاً بين البلدين".

كما اعتبرت نجم أن زيارتها لعبدالله كانت على خلفية رأيها الشخصي "بأن من واجب كل دولة تحترم ذاتها أن تتّبع شؤون مواطنيها في أي دولة أجنبية بشكل يتوافق مع القوانين الدولية، وهذا ما فعلته بشكل مهني واحترافي وباحترام كامل لاستقلالية السلطات القضائية الفرنسية ومن باب إنساني وأخلاقي وحقوقي". وأشارت إلى أن زيارتها لم تكن بهدف: "إجراء تقييم لقضية تم البتّ بها منذ وقت طويل (1987) من قِبل القضاء الفرنسي، أو التدخل في إجراء قانوني مستمر، نظراً للمدة الطويلة للاحتجاز (37 عاماً في يوم المقابلة) فإن توجهي قائم على حقوق الإنسان التي تحميها فرنسا تقليدياً". وأضافت أن "جورج عبدالله الذي سجن منذ العام 1984 والذي كان يفترض أن يُفرج عنه منذ العام 1999 وفقاً للقانون الفرنسي، استفاد من قرارَي إفراج من المحكمة الفرنسية شرط ترحيله إلى لبنان، وطبقاً للمعلومات التي قدّمها محاميه لا يمكن لعبدالله أن يطلب الإفراج المشروط عنه من دون ضمان عودته الفورية إلى الأراضي اللبنانية إذا حصل على هذا الإفراج. وتابعت أنه: "إذا صدر أمر ترحيل من الأراضي الفرنسية من قِبل وزير الداخلية الفرنسي بحق عبدالله فيمكن استلام الأخير في الأراضي اللبنانية".

استناداً لكلام الوزيرة "إن الدولة اللبنانية أكدت منذ سنوات عديدة عبر وزارة الخارجية رغبتها في عودة عبدالله إلى بلاده. علاوة على ذلك، في العام 2009 قدّم وزير العدل آنذاك إبراهيم النجار ملفاً حول قضية عبدالله إلى نظيرته رشيدة داتي. وكان الرئيس ميشال سليمان قد كلف السفارة الفرنسية في لبنان إيصال رسالة إلى السلطات الفرنسية بهذا الخصوص. وفي العام 2012 طلب رئيس الحكومة نجيب ميقاتي رسمياً عودة جورج عبدالله إلى لبنان. وفي الآونة الأخيرة أثار الرئيس عون هذه القضية مع الرئيس ماكرون. كما يدعو برلمانيون فرنسيون وكذلك رابطة حقوق الإنسان بانتظام لإطلاق سراح عبدالله، حتى أن المحافظ بونيه الذي ألقى القبض على عبدالله قال إن فرنسا سوف "تكبر" بإطلاق سراحه ويجب ألا تتركه يموت في سجن فرنسي".

وختمت نجم تصريحها لـ«القوس» بالقول "إن لزيارتها لسجن لانميزان في 19 أيار 2021، التي جاءت بموافقة وزيرة العدل الفرنسية والتنسيق الكامل معها، لها رمزية، لنقول للبنانيين أينما كانوا ومهما كانت أفعالهم إن لهم حقوقاً وإن بلادهم لا تتخلى عنها. ومن خلال هذا السياق تعمل الوزارة على نقل المحكوم عليهم اللبنانيين المحتجزين في الخارج إلى لبنان عندما تسمح الاتفاقيات الدولية بذلك. ويجب على جميع الدول التي تحترم نفسها أن توفر الحماية لمواطنيها في جميع أنحاء العالم".

النقاط على الحروف

وضع اللقاء مع وزيرة العدل السابقة ماري كلود نجم النقاط على الحروف لجهة التأكيد، من قِبل أوّل مسؤول في الدولة اللبنانية يزور المعتقل جورج عبدالله في سجنه، أنه ملف سياسي بامتياز، وأن عبدالله هو معتقل سياسي على الأراضي الفرنسية. الأمر الذي يؤكد أن فرنسا، المنادية بشعارات حقوق الإنسان والحاملة للواء الحريات والتي شاركت بخوض معارك في وطننا العربي تحت هذا الشعار، تنتهك بشكل فاضح كافة قواعد حقوق الإنسان وتحتجز تعسفياً مواطناً لبنانياً أمضى 38 عاماً في السجن بناءً على ملف ملفّق.

أما القانون الذي تحتجّ به بعض الجهات المدافعة عن قانونية إبقاء جورج عبدالله في السجن استناداً للقانون الشهير "DATI" والذي سيكون عنواناً لتحقيق خاص في ملحق «القوس»، فقد شرع ليؤكد على انتهاك فرنسا لمبادئ حقوق الإنسان في المحاكمة العادلة.

في العمق

في ظل ما يمر به لبنان من تحديات، تزداد الضغوطات والصعوبات التي تواجه الاسر، وترتفع معها وتيرة الخلافات والمشاجرات. ازاء هذا الواقع ارتفعت نسب الطلاق (راجع «الاخبار»، عدد 1 آذار 2023، «ارتفاع في نسب الطلاق: من يدقّ ناقوس الخطر؟»). وزاد عدد النساء اللواتي يتعرّضن لجرائم العنف الاسري (بحسب البيانات الصادرة عن منظمات حقوقية). ومع التدهور السريع للوضع الاقتصادي في بلد مازوم اجتماعياً وسياسياً وقضائياً، تتفاقم حدة المشكلات وترتفع معها نسبة جرائم قتل النساء، والتي تندرج في بعض الاحيان تحت مسمّى «جرائم الشرف». يستعرض هذا المقال هذه الظاهرة من منظور علم الاجتماع، ويسلّط الضوء على التأثير النفسي الذي يعاني منه اطفال الضحايا، ويشدّد على ضرورة التحقيقات الجدية والمهنية لكشف الملابسات والدوافع بطريقة علمية، والابتعاد قدر الإمكان عن الحجج المعلّبة والتبريرات النمطية لمنح الإفلات من العقاب.

«جرائم الشرف» وقتل الأمّهات

جنان الخطيب

ستُّ نساء قُتلن قبل بداية الشهر الثالث من العام الجاري على أيدي أزواجهن، بحسب منظمة «كفى عنف واستغلال». وجاء خبر مقتل زينب زعيتر في 25 آذار الجاري، لتضاف إلى لائحة النساء الضحايا لهذا العام. وفيما لم يصدر أي بيان رسمي من القوى الأمنية حول الحادثة، أوضح المكتب التنفيذي للهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية، أنه «بعد مرور 9 سنوات على إقرار قانون حماية النساء وسائر أفراد الأسرة من العنف الأسري على إثر تكاثر جرائم قتل النساء، يعترينا الذهول اليوم أمام الجريمة المروّعة التي ارتكبها المدعوّ حسن موسى زعيتر بقتل زوجته زينب زعيتر بعشر طلقات نارية أمام أطفاله الثلاثة». وقد استُخدمت وسائل التواصل الاجتماعي للترويج لفكرة أن هذه الحادثة تقع ضمن «جرائم الشرف»، وقد صُوّر الجاني بطل «غسل شرف عائلة زعيتر» وفقاً لشقيق الضحية. ورغم أن العواقب الأكثر وضوحاً لجرائم «الشرف» هي الموت، إلا أن تلك الجرائم لها آثار أخرى كثيرة على الأسرة والأطفال، وعلى النساء اللواتي يخفن الوقوع ضحايا لجرائم «شرف». فقد تختار المرأة عدم الإبلاغ عن الاغتصاب لأن الانتهاك الذي تعرضت له يمكن اعتباره وصمة عار على شرف أسرتها، ومن شأنه تبرير قتلها. كما تبقى بعض النساء أيضاً في زيجات مسيئة خوفاً من التعرض للقتل إذا طلبن الطلاق. وقد تتخلى أخريات عن الأطفال المولودين خارج نطاق الزواج خوفاً من التعرض للقتل إذا اكتُشف الأمر. يساهم تواتر «جرائم الشرف» في خلق جو من الخوف بين النساء، إذ إن تجربة السيطرة الذكورية قد تؤدي إلى تآكل احترام المرأة لذاتها، وبالتالي تعرّضها لخطر كبير لمجموعة متنوعة من الاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب والقلق.

وفي بعض الحالات، تكون التهديدات التي تتلقاها المرأة من عائلتها شديدة لدرجة أنها قد تدفعها إلى الانتحار. على الرغم من أنه ليس من الممكن تحديد ما إذا كان سبب الوفاة هو الانتحار فعلاً، أو القتل المقبرف على أنه انتحار، إلا عبر اتباع خطوات تحقيق دقيقة ومهنية.

أضف إلى ذلك، من المتوقع أن جرائم القتل المرتبطة بالشرف لا يُبلَغ عنها بشكل كافٍ، ولا سيّما في مناطق معيّنة مثل مخيمات اللاجئين، حيث تُخفي العائلات مثل هذه الوفيات عندما يتورط الأقارب.

تشريع «جرائم الشرف»

تقول المتخصصة في علم النفس العيادي، فاطمة الخطيب إنه «بمجرد استخدام مصطلح جريمة شرف نُعطي تبريراً للجريمة». وتضيف: «أصبح ما يُسمّى غسل العار بمثابة تابو مبرّر وكأنه يندرج تحت عنوان عنف مقدّس ومفسّر، وأنه بمجرد الاستغناء عن هذا المصطلح نتقدّم خطوة للحدّ من هذه الجرائم». ففي مجتمع ذكوري وبوجود «وصفة لجرائم الشرف» يُمنح الذكور الحقّ في تحديد جريمة زوجاتهم ومعاقبتهنّ، علماً أنهم يملكون خيارات أخرى يمكنهم اللجوء إليها، كالطلاق مثلاً. إلا أنه لا يزال مفهوم المرأة كملكية وشرف راسخاً بعمق في النسيج الاجتماعي والثقافي للعديد من المجتمعات اللبنانية. نتيجة لذلك، يدعم العديد من الأفراد، بمن في ذلك النساء، هذه «الطقوس» وفقاً للخطيب. وتضيف: «قد يكون السبب أيضاً في تجاهل السلطات القانونية جرائم قتل النساء على أيدي أسرهن أو أزواجهن، فينكفئ الجميع عن التدخل في الجريمة عندما تندرج تحت مسمّى جريمة شرف، وهذا ما يشكل مبرّراً للآخرين لارتكاب المزيد من الجرائم تحت هذا المسمّى». وفي هذا الصدد تقول نجوى دعجة، الدكتورة في علم النفس الاكلينيكي والمعالجة النفسية للعلاقات الزوجية والأسرية، أنّ «جرائم الشرف تنعكس على المفاهيم لدى الأشخاص، فتختلف نظرتهم لمفاهيم العدالة والمساواة والحرّية الشخصيّة، بل أكثر من ذلك، تصبح هذه المفاهيم انتقائية فيكون للرجل الحرية لفعل ما يريد على عكس المرأة».

هل تقتصر على دين معيّن؟

تشير الدراسات إلى أن «جرائم الشرف» لا ترتبط بأديان أو ممارسات دينية معيّنة، فقد سُجّلت في مختلف المجتمعات والثقافات. في كثير من الأحيان، لا تُعدّ جرائم الشرف جريمة ذات دوافع دينية، بل تُعد عملاً جماعياً تقرره الأسرة أو العشيرة فتكون مدفوعة بمعايير ثقافية معيّنة تتعلق بالأفعال «الشريفة» بدلاً من الاختيارات أو الرغبات الفردية. تقول دعجة « الذي يؤثر على جرائم الشرف هو العادات والتقاليد والقيم الثقافية المنتشرة في المجتمع، والتي تختلف من مجتمع إلى آخر. فعلى سبيل المثال، الزواج العرفي «الخطا» في بعض المجتمعات،

هو مقبول ومنتشر في مجتمعات أخرى».

الجاني سيكوباتي؟

أظهرت الدراسات أن هناك دلالات نفسية في بعض الحالات، إذ إن بعض الجناة يعانون من مرض عقلي غير مشخّص وخصائص أو اضطرابات نفسية. من ناحية أخرى، تشرح الخطيب أنه لا يمكن تعميم هذه الظاهرة: «التصوير الإعلامي للجناة على أنهم مرضى نفسيون هو انعكاس لتبريرات وتفسيرات المجتمع غير المنطقية وللأفكار النمطية». وتضيف: «التسويق الإعلامي لهذا الأمر ما هو إلا اجترار لما يراه المجتمع ولا يتم وفق تشخيص عيادي طبي علمي دقيق». هذا السياق قد يؤدي، بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، إلى تضليل العدالة وحماية الجاني من العقاب، ويكون بمثابة قتل مضاعف للضحية، مرّة عندما قُتلت فعلياً، والثانية عندما بُرّرت جريمة قتلها. وهذا ما أكدته دعجة أيضاً في حديثها لـ«الأخبار» أن «هناك

> تلجأ الأمهات في بعض الأحيان إلى قتل بناتهن تحت مسمّى غسل شرف العائلة، وتُصوّر الحادثة على أنها انتحار

عوامل أخرى قد تؤدي إلى ارتكاب جرائم الشرف، كالعوامل الاجتماعية والاقتصادية، والشعور بالخجل والعار، وحكم المجتمع والغضب». وتضيف «الوسائل الإعلامية لديها تأثير كبير على المجتمع وطريقة تعامله مع هذا النوع من الجرائم. فالسياق الذي يُنشر من خلاله التقارير الإعلامية، يوجّه رسائل لا واعية إلى الدماغ ويشكّل السلوك إلى حدّ ما».

عندما يصبح الجاني بطلاً

تنتشر في المجتمعات الذكورية أنماط سلوكية معيّنة ترفع من شأن الذكور، تتمثل بعلاقة السلطة، والقوة، والهيمنة والنفوذ على النساء في الأسرة. وهذا، وفقاً للخطيب، يمنح الذكور الحقّ في قتل الأنثى كون الرجل «ربّ الأسرة» هو المسؤول عن محاربة أي فعل مُخزٍ. في هذا الإطار، تأخذ جرائم الشرف حماية قانون اجتماعي متعارف عليه ويصبح الجاني بطلاً أي «غسل شرف العائلة». فتنتشر هذه الثقافة لتكون بمثابة موروثات تتناقل في اللاوعي الجمعي، وكأنها قوانين مقدّسة تحمي الجاني. فمن خلال قتل الزوجة لاتهامها بارتكاب، أو بمجرد الشك في ارتكابها فعلاً يضرّ بشرف الأسرة أو يتنافى مع القيم الأخلاقية للعائلة، يحصل الزوج الجاني على المصادقة المعتادة من قبل العائلة والعشيرة.

العنف يولد العنف

الالتفات إلى التأثير النفسي الذي يعاني منه الأطفال الذين يشهدون النزاعات الأسرية والعنف القائم على الشرف، الذي يصل إلى حد قتل أمّهاتهم، أمر مهم، إذ يواجه هؤلاء الأطفال مخاطر متزايدة من المشكلات السلوكية والقلق والاكتئاب وحتى تعاطي المخدرات. في هذا السياق تقول دعجة أن تلك الآثار تكون مضاعفة لدى الأطفال، أولاً لفقدان الأم وثانياً لأن الأب «مصدر الأمان» بات بشكّل مصدراً للرعب والفزع الشديد. وتضيف دعجة «قد يتعرض الأطفال أيضاً إلى العنف من الأب العنيف، أو قد يصبحون هم أيضاً عنيفين ويتماهون مع شخصية وسلوكيات الأب الجاني»، إلى جانب ذلك، من الضروري أن يخضع الأطفال لعلاج ومتابعة نفسية من قبل المتخصصين. ووفقاً للخطيب: «قد تنتاب أولئك الأطفال مشاعر متناقضة تجاه الأب «الجاني»، فتختلف بين الكره والحقد على الشخص الذي قتل أمّهم من جهة، ومشاعر الحب والانتماء إليه من جهة أخرى، فيبدأ الصراع الداخلي لديهم». وتضيف «الاختصاصية النفسية أنه قد يمتد الشعور بالكراهية إلى أفراد آخرين في العائلة، والذين كان بإمكانهم، بنظر الأطفال، التدخل لمنع قتل والدتهم. وفي الوقت نفسه ينتابهم شعورٌ بأن ما حدث عار مشين فيشعرون بالخجل والدونية. ينعكس هذا الأمر على إنتاجيتهم، ويؤدي إلى ظهور مشكلات تربوية وأخرى سلوكية وأخلاقية. علاوة على ذلك، سيكون هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للجنوح في سن المراهقة ولخطر تنفيذ جرائم الشرف في وقت لاحق من حياتهم.

تأثير الأزمة الاقتصادية

تقول دعجة «من الطبيعي أن تؤثر الأزمة الاقتصادية على الجرائم بشكل عام، وجرائم الشرف بشكل خاص، ففي حالات الفقر تصبح اهتمامات البطالة وعدم الانشغال خلال النهار، فيكثر التعاطي والاحتكاك الاجتماعي بين الأشخاص فتزيد خطورة حدوث هكذا جرائم». وتضيف «في المجتمع الفقير يهتم الرجل بنظرة المجتمع إليه بشكل أكبر، وكيف يقيّمه ويحكم عليه، لذا تكون ردود فعله قوية وعنيفة ليثبت للآخرين أنه شخص محترم وله قيمة أمام الجميع». وهذا ما أكدته الخطيب أيضاً، إذ تضيف «في تلك المجتمعات يرى الرجل أنه ليس قادراً على إزالة الآثار الاجتماعية للفعل الذي قامت به الأنثى إلا عن طريق العنف الجسدي الذي يصل إلى حدّ القتل»

جرائم شرف كاذبة

قد تُمارس «جرائم الشرف» لأسباب أخرى غير استعادة شرف العائلة. مثال على ذلك، الرجل الذي يقتل رجلاً آخر للانتقام من نزاع شخصي أو مكاسب مالية، ثم يدّعي أن القتل قد تم لتطهير شرف العائلة، لأن المتوفى قد فعل شيئاً غير لائق مع قريبته الأنثى التي «يجب» أن تُقتل. من هنا، تبرز الإشارة إلى أهمية التحقيق العلمي الدقيق وضرورة اتباع الإجراءات القانونية الواجبة وعدم تفضيل أي فرضية على أخرى وعدم الانجرار إلى الأحكام المسبقة والحقائق المعلّبة. ومن هنا تقول دعجة «تلعب التشريعات والقوانين دوراً أساسياً في الازدياد أو الحد من جرائم الشرف. فعندما يخفّف القانون العقوبات عن الجاني في جرائم الشرف، سوف تُستغلّ جرائم أخرى وتُفبرك على أنها جرائم شرف للإفلات من العقاب».

ماذا عن المساحات الآمنة للنساء؟

تتحدث الخطيب عن أهمية تشييد مساحات آمنة كخطوة رئيسية لحماية وتمكين النساء والفتيات المتضررات من العنف الأسري، واللواتي يواجهن خطر الوقوع ضحايا جرائم أسرية. وعلى الرغم من أن بعض المنظمات غير الحكومية توفر هذا النوع من الخدمات، إلا أن الخطيب تشدد على أهمية أن تكون تلك المنشآت تابعة للدولة لضمان استمرارية البرامج، واستقبال أكبر عدد من النساء ولضمان تنفيذ القوانين بشكل صارم. تساعد هذه المساحات في تنمية قدرات النساء وتعزيز ثقتهن بأنفسهن وتدريبهن على تخطي المشكلات والتعامل مع المواقف الصعبة، من دون حرمان المرأة من عائلتها ومحيطها، إلا إذا كانوا يشكلون خطراً على حياتها.

لرفع الوعي المجتمعي

من المفترض إجراء المزيد من الأبحاث حول الطبيعة الحقيقية لظاهرة جرائم الشرف، ولا سيّما في الأسباب والجناة والضحايا المحتملين. يمكن للأحداث الأخيرة، كالأزمة الاقتصادية وأزمة النزوح السوري وتبعاتها الاجتماعية والاقتصادية، أن تزيد من حدوث جرائم "الشرف". ومع ذلك، فإن زيادة الوعي بهذه الجرائم، بالإضافة إلى أساليب أكثر علمية في التعامل معها، تجعل استجابة المجتمعات لهذه الظاهرة أكثر كفاءة من ذي قبل.

فإن التوعية حول العدالة الجندرية بين جميع أفراد المجتمع وعلى المستويات كافة، هي أيضاً مفتاح لكسر النمطية وللتعامل بفعالية مع قضايا جرائم «الشرف» والحدّ منها، بحسب الخطيب. كما أكدت دعجة على ضرورة أن تلعب الوسائل الإعلامية دوراً في توعية وتثقيف المجتمع على الحقوق والحرية الشخصية.

والأهم من هذا كله، تطبيق العقوبات الصارمة بحق الجناة، الخطوة التي تشكل رادعاً مهماً وأساسياً في وجه الجناة المحتملين ولكسر حلقة العنف وحماية ضحايا جرائم «الشرف» إناثاً وذكوراً.

أخطاء شائعة

على الرغم من أن ضحايا جرائم «الشرف» هم غالباً من النساء (وبعض التعريفات لجرائم «الشرف» تحدّد النساء فقط كضحايا)، لكن هناك حالات أيضاً يكون فيها ضحايا جرائم «الشرف» من الرجال. على سبيل المثال، قد يُقتل الرجل من قِبل أحد أفراد عائلة الفتاة التي تربطه بها علاقة جنسية.

يُعتقد عادةً أن القاتل أو مرتكب جرائم «الشرف» هو دائماً ذكر، إما الزوج أو الابن أو الأب أو الأخ. إلا أن الواقع مختلف. ففي بعض الأحيان قد تلجأ الأمّهات إلى قتل بناتهنّ تحت مسمّى غسل شرف العائلة، أو تُصوّر الحادثة وتُفبرك على أنها انتحار.

إفلاتٌ من العقاب

إن جرائم القتل باسم «الشرف» التي تُرتكب بالفعل، ثم يتم تجاهلها أو بالكاد يُعاقب الجناة عليها، تولّد دورات من العنف يغذّيها الإفلات من العقاب. يُعرّف مرتكبو جرائم «الشرف» عن أنفسهم وجريمتهم، وهم على ثقة أن عقابهم سيُخفّف، هذا وإن لم يُعاقبوا على الإطلاق. فعلماً أنه في 4 آب 2011، كان مجلس النواب قد ألغى المادة 562 من قانون العقوبات، التي تنصّ على أنه «يستفيد من العذر المخفّف من فاجأ زوجه أو أحد أصوله أو فروعه أو أخته في جرم الزنى المشهود أو في جميع غير المشروع فأقدم على قتل أحدهما أو إيذائه بغير عمد». ومع ذلك، يبدو أن مادة أخرى من قانون العقوبات، لا تزال تسمح بتخفيف العقوبة على الجرائم المرتكبة ضد النساء، والتي بحسب بعض المنظمات الحقوقية، غالباً ما يستخدمها القضاة لتقصير الأحكام. إذ تنصّ المادة 252 على أنه «يستفيد من العذر المخفّف فاعل الجريمة الذي أقدم عليها بصورة غضب شديد ناتج عن عمل غير محقّ وعلى جانب من الخطورة أتاه المجني عليه».

حالة

ضحية صامتة

فؤاد، شاب فلسطيني ولد في لبنان، كبر وتعلّم فيه، تخرّج في كلية الفنون ليعمل في مدارس المخيم وعلى خشبات مسارحه. احبّ شابة لبنانية وعاش معها قصة حب رومانسية تكلّلت بالزواج، ثم بطفلين. تمكّن فؤاد بعد سنوات من الجهد والعمل من شراء منزل، سجّله باسم زوجته اللبنانية من دون اي حسابات او ضمانات فهي شريكة العمر. إذ حرمه القانون (رقم 2001/296، في مادته الاولى) من حق التملّك، فبموجبه يُمنع الفلسطينيون من اكتساب الحقوق العينية العقارية بحجة منع التوطين. لكنه لم يُحرم من حقّه في الحب والزواج وشراء منزل يحميه وعائلته، وما دامت زوجته لبنانية فلا خوف على الملكية

بعد عشرين عاماً من الزواج انقلبت حياة فؤاد رأساً على عقب، وأرخت جميع أفراد المجتمع وعلى المستويات كافة، هي أيضاً مفتاح لكسر النمطية وللتعامل بفعالية مع قضايا جرائم «الشرف» والحدّ منها، بحسب الخطيب. كما أكدت دعجة على ضرورة أن تلعب الوسائل الإعلامية دورها في توعية وتثقيف المجتمع على الحقوق والحرية الشخصية.

والأهم من هذا كله، تطبيق العقوبات الصارمة بحق الجناة، الخطوة التي تشكل رادعاً مهماً وأساسياً في وجه الجناة المحتملين ولكسر حلقة العنف وحماية ضحايا جرائم «الشرف» إناثاً وذكوراً.

أخطاء شائعة

على الرغم من أن ضحايا جرائم «الشرف» هم غالباً من النساء (وبعض التعريفات لجرائم «الشرف» تحدّد النساء فقط كضحايا)، لكن هناك حالات أيضاً يكون فيها ضحايا جرائم «الشرف» من الرجال. على سبيل المثال، قد يُقتل الرجل من قِبل أحد أفراد عائلة الفتاة التي تربطه بها علاقة جنسية.

يُعتقد عادةً أن القاتل أو مرتكب جرائم «الشرف» هو دائماً ذكر، إما الزوج أو الابن أو الأب أو الأخ. إلا أن الواقع مختلف. ففي بعض الأحيان قد تلجأ الأمّهات إلى قتل بناتهنّ تحت مسمّى غسل شرف العائلة، أو تُصوّر الحادثة وتُفبرك على أنها انتحار.

الآخر، أو من دون وجود احتمال ولو بسيط بأن المرأة قد تكون هي المعتدية. وما يسهّل هذه الأحكام المسبقة، هو امتلاك المرأة قدرات عاطفية ونفسية واجتماعية تجعلها تُظهر وتُعلن بكل جرأة مظلوميّتها، على عكس معظم الرجال.

فالزوجة قادرة على الصراخ بوجه زوجها بشكل مستمر من دون أن تُتهم مجتمعياً بأنها مُعنّفة، أما الزوج الذي يصرخ بوجه زوجته بشكل مستمر فهو مُعنّف معنوياً ولفظياً بالنسبة للمجتمع. مع العلم أن قانون العنف الأسري أعطى كل أفراد الأسرة الحق في الحماية من العنف، لكن الأحكام المسبقة التي باتت ميزة لمجتمعنا، نتيجة الاستخدام السيّئ لوسائل التواصل الاجتماعي ونتيجة عدم معرفتنا وفهمنا للقوانين، جعل من بعض الرجال ضحايا صامتين للعنف الأسري.

اي طريق سيسلك فؤاد؟

إن استجاب فؤاد لطلب زوجته وحصل الطلاق، سيخسر كل ما جناه ويصبح بلا ماوى، وهو لم يعد شاباً في بداية العمر ليبدأ من جديد. فقد هاجر البعض من عائلته وتوفي البعض الآخر، لهذا لم يكن أمامه سوى خيار البقاء في منزله ورفض طلبها. وفي حال أصرّت على الطلاق، سيترك الأمر للقضاء الشرعي بإقامة دعوى تفريق تمكّنه خلال السير بالمحاكمة من إثبات مسؤولية الزوجة فيه، وفتح باب التفاوض على ملكية المنزل.

> إن استجاب فؤاد لطلب زوجته وحصل الطلاق، سيخسر كل ما جناه ويصبح بلا ماوى

البعد الاجتماعي

حالة فؤاد ليست فردية، بل هي نموذج عن حالة غير قانونية أرخت بظلالها التعسّفية على شريحة كبيرة من البشر بحرمانهم من أحد أهم حقوق الإنسان وهي الحقّ في السكن. يحاول غالبية الفلسطينيين الخروج من المخيّم، في محاولة منهم لبدء تشكيل أسرة في بيئة أكثر أماناً. ويسعى قسم منهم إلى شراء منزل أو محلّ، فيسجلون العقار باسم أحد أقاربهم من حاملي الجنسية اللبنانية أو أصدقائهم أو حتى باسم صاحب العمل أو المحامي! لذلك من الواضح أن هذا القانون في الأساس لم يمنع التملّك فقط، بل فتح الباب واسعاً لاستغلال هذا الواقع (غير القانوني) لوضع اليد على جنى عمر الفلسطيني.

هذا القانون ستنتج منه مشكلات إضافية خطرة على المجتمعَين اللبناني والفلسطيني، فمساحات المخيّمات محددة ولا تتمدّد منذ تاريخ إنشائها على رغم ازدياد عدد السكان وارتفاع عدد الولادات، الأمر الذي ستنتج منه مشكلات جمّة تبدأ من المخيّم وتنتقل إلى المجتمع كله. وهناك آلاف المخاوف التي يمكن تفنيدها انطلاقاً من علم الاجتماع لهذا الواقع.

البعد السياسي

هذا القانون ليس متعلقاً بحماية الملكية العقارية، بل هو قرار سياسي بحت، كما أن بعض الجهات دعمته بحجة أنه يقطع الطريق على التوطين ويُبقي الفلسطينيين داخل المخيّمات تحت سلطة الأونروا والمنظمات الفلسطينية. لا يُعالج هذا القرار إلا بالحوار السياسي بين المعنيين الفلسطينيين والدولة اللبنانية، وليس بقرارات قانونية لا تمتّ للإنصاف بصلة. نجد، بعد المرور على حالة فؤاد والحديث عن البعدين القانوني والسياسي فيها، أنه ضحية سياسات الحكومة من جهة، والاحتلال من جهة أخرى، ليبقى الظلم والاضطهاد يلاحقه طوال حياته.

فؤاد اليوم نموذج عن كثير من الفلسطينيين، وهذه الحالة موجودة بأشكال مختلفة وتتكرر يومياً! والحل يتطلب من الفلسطينيين بشكل خاص اعتماد أعلى معايير الحماية القانونية، حتى في الحب والزواج، لأن الثقة وحدها لا تكفي في ظلّ واقع يحرم الفلسطيني من أبسط حقوقه ويحاكمه استناداً إلى جنسيته.

وإلى أن تنصف القوانين الفلسطينيين، على كل من يرغب بحماية ملكية شرعية بالحقّ الإنساني أن ينظّم إقراراً مَمّن سجّل العقار باسمه بأن من دفع ثمن هذا العقار بالكامل هو حامل للجنسية الفلسطينية، وأن ثمن المنزل هو مبلغ مودع لدى من سجل العقار باسمه على سبيل الأمانة، إلى أن تُحرّر من شماعة التوطين التي لن تزعزعها لا قوانين ملكية ولا قوانين جنسية ولا قوانين عمل لأن فلسطين الأصل وإليها عائدون.

(ألف باء القانون)

«المصلحة العليا للبنان»؟

بعد تقدّم الدولة اللبنانية عام 2001، بمشروع تعديل قانون التملّك لغير اللبنانيين بهدف تحفيز الاستثمار العقاري والاستثمار الأجنبي في سياق معالجة الوضع الاقتصادي، تم استثناء الفلسطينيين، إذ جاء في النص رقم 296 المادة الأولى الفقرة الثانية: «لا يجوز تملّك أي حق عيني من أي نوع كان لأي شخص لا يحمل جنسية صادرة عن دولة معترف فيها أو لأي شخص إذا كان التملّك يتعارض مع أحكام الدستور لجهة رفض التوطين». هذا القانون مناف لأبسط قواعد حقوق الإنسان في الحق في السكن، وللإعلان العالمي لحقوق الإنسان (المادة 17)، ولكافة العهود والمواثيق الدولية التي تنصّ على القضاء على كافة أشكال التمييز العنصري. وعلى رغم تقدّم عشرة نواب إلى المجلس الدستوري بطعن في هذا القانون إلا أن المجلس رد الطعن معتبراً أن القانون يحمي المصلحة العليا للبنان.

«التغييرات القضائية» التي قسّمت العدو الإسرائيلي

1. تعيين القضاة بيد الحكومة

تتألف اللجنة المسؤولة عن التوصية بتعيين القضاة حالياً من قضاة وممثلين عن نقابة المحامين الإسرائيليين وأعضاء «كنيست» ووزراء

تهدف التغييرات المقترحة إلى تغيير تشكيل هذه اللجنة على نحو يمنح أغلبية الأصوات للحكومة. وبالتالي إعطاء الأخيرة السيطرة على تعيين أو عزل جميع القضاة، بما في ذلك قضاة المحكمة العليا الإسرائيلية

2. الحدّ من المراجعة القضائية للتشريعات

يشمل الحدّ من ممارسة المحكمة العليا مراجعة القوانين الأساسية

تشترط التغييرات وجود هيئة كاملة من قضاة المحكمة العليا للنظر بشرعية القوانين التي أقرها الكنيست. ويستدعي إبطال القوانين توافق 80% من المحكمة العليا

3. «الكنيست» أولاً

السماح للكنيست بإلغاء القرارات الصادرة عن المحكمة العليا بشأن شرعية القوانين

يمكن للكنيست أن يسقط، بأغلبية بسيطة (61 من أصل 120 صوتاً)، قرارات المحكمة العليا

4. الاستشارات القانونية اختيارية

تسعى التغييرات إلى إعادة تصنيف المستشارين القانونيين للوزارات إلى مستشارين مختارين سياسياً، تكون آراؤهم غير ملزمة للحكومة

السماح للوزراء اختيار وعزل مستشاريهم القانونيين وتقرير ما إذا كانوا سيلتزمون بالمشورة القانونية أم لا

5. إلغاء «المعقولية»

تسعى التغييرات إلى تقييد نطاق المراجعة القضائية للقرارات الحكومية والإدارية من خلال التشريع ضد مفهوم «المعقولية» (Reasonableness)

ممنوع على المحاكم الإسرائيلية سماع الالتماسات أو أي استئناف ضد القرارات الحكومية والإدارية

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com